مشروع طباعة الكتب السلفية ٥٨

شرح

القواعد الأربع

ومتممتها

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

شرح فضيلة الشيخ

بدر بن علي بن طامي العتيبي

طبع على نفقة بعض المحسنين في دولة الكويت
غفر الله لهم ولوالديهم

مشروع طباعة الكتب السلفية (٥٨)

سلسلة شروح مختصرات

شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (٦)

شرحُ

القواعد الأربع

ومُتَمِّمَتَها

لشيخ الإسلام الإمام

محمد بن عبدالوهاب

رحمه الله تعالى

تأليف

الفقير إلى عفو ربه العلي

بدر بن علي بن طامي العتيبي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله وَسَلَّم عَلى نبيِّنا مُحمَّدٍ، وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينَ، أمَّا بعد:

فإنَّ رسالةَ "القواعدِ الأرْبَع" تَأليفَ شَيخِ الإسْلامِ الإمامِ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِالوَّهابِ التَّميمي النَّجْدِي (ت:١٢٠٦هـ) رَحمه اللهُ تَعَالى، مِنْ أفْضَلِ الرَّسائلِ الَّتِي تُوَضِّحُ معنى التَّوحيدِ الواجبِ، وتُبَيِّنُ مَعنى ضدَّه من الشِّركِ الَّذي حرَّمه الله تعالى عبادِهِ، وهَي مَعَ صِغَرِ حَجْمِها، وَبَساطةِ ألفَاظِهَا، إلاَّ أنها تَضَمُّ قَواعدَ عَظِيمةً، وأُصولاً كبيرةً، بَلْ على مَضْمُونِها كانت دَعْوةُ الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وَفِيها كَانت الخُصومةُ بَين الأنْبياءِ وأقْوامِهِم، وَقَد غُيِّبَتْ هَذهِ الأُصولُ، وطُمَستْ تِلكَ الثَّوابت قُروناً كَثيرةً مِنْ أعْداءِ الحَقِّ، وأئمةِ الضَّلالةِ، إلا عِنْدَ أفْرادِ الأمَّةِ ممن رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، فَغيّر جندُ إبليس مَعنى التَّوحيدِ الواجِبِ عَلى الخلق وجَعَلُوهُ مَقْصُوراً عَلى الإيْمانِ بربوبيةِ الله تَعَالى وأنَّه الخالق الرازق، وغيَّروا مَعْنى الشِّركِ الَّذي حرَّمه الله تعالى على عِبَادِه وقَصَروهُ عَلى نَحْتِ الأصْنَامِ، واعْتَقادِ الخَلقِ والرَّزْق والإحْياءِ والإمَاتةِ في أحدٍ من الخلق! بَما لم يكن يعتقده أبو جهلٍ وأبو لهب في اللَّات والعُزَّى! ونَتَجَ عَنْ ذلكَ عَدمُ تَكفِيرِ

المُشْرِكِين، وإقَامةِ حدِّ الله تعالى فِيهِم مِنَ الاسْتِتَابَةِ والأخْذِ عَلى أيْدِيهِم وَقَتْلِ أوْ قِتَالِ المُرْتَدِّينِ والمُشْرِكِينَ.

وهَذَا التحريفُ والتزييفُ كانَ سَبَباً لانْحِرافِ الكَثيرِ عن السبيلِ، وَتَعْطيلِ الدَّليلِ، فلا تَوحيدَ ربِّهِم عَرَفُوه، ولا الإشْراكِ بالله تَعَالى اجْتنبُوه، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أنَّهُمْ مُهْتَدُونَ! قَال تَعَالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

فلما جَهِل الكثيرُ من النَّاسِ حقيقةَ التوحيدِ، ومَعَنى الشِّرْكِ، والتَّمييزِ بين المُسْلِم والمُشْرِكِ، وحُكمَ مَنْ كفرَ بالله تعالى، كَان من أوجبِ الواجباتِ على أهلِ العلمِ الرَّاسِخينَ بيانُ ذلك للنَّاس، قياماً بواجبِ النَّصِيحةِ، وتَعْليمِ النَّاس حدودَ ما أنْزَل اللهُ، وَمنْ تِلكَ الحُدودِ مَعْرِفَةِ مَعْنَى التَّوحيدِ، ومَعْنَى الشَّركِ، فَمعرفةُ ذَلكَ مِنْ أوجبِ الوَاجِبَاتِ عَلى المُسْلِم تعلُّماً وتَعْليماً وَدَعْوةً وَجِهَاداً، والجَهْلُ بِهَا مِنَ الكفرِ والنِّفَاقِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:٩٧].

وَكَانَ مِنَ العُلماءِ الصَّادقينَ الَّذينَ نَصر اللهُ بِهِمْ مِلَّة التَّوحيدِ والسُنَّةِ، وَجدَّدَ بِهِ مَعالِمَ الدِّين: شيخُ الإسْلامِ الإمامُ محمَّدُ بنُ عَبْدَالوهَّابِ رَحِمَهُ الله

تَعَالى (ت:١٢٠٦هـ) فَقَامَ بِنُصْرة دينِ الله تَعالى، وبيانِ تَوْحِيدِهِ الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُل، وَحَذّر مِن الشِّركِ، وفَرَقَ اللهُ بِهِ بَينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وقَمَع بمؤلَّفَاتِهِ كُلّ مُعَاندٍ ومُجَادِل، فَكَتب هَذِه الرِّسالَةَ النَّافعةَ الجامعةَ، وبيَّن فِيها:

[١] معنى التوحيد.

[٢] ومعنى الشرك.

[٣] وكفر من موقع الشرك.

[٤] وقتاله.

وَعَلى هَذِهِ المسائل الأربعِ كَانت الخصومة بينهُ وبينَ أهَلِ الضَّلالِ في عَصْرِه وَبَعْدَ عَصْرِهِ، وهي المسائلَ التي يَدُورُ عَليها فَلكُ جَمِيعِ مُؤلَّفاتِ الإمامِ رَحمهُ الله تَعَالى، وَقَد نَصَّ الإمامُ عَلى ذَلِكَ في رِسَالتِهِ لابنِ عِيد -أحدِ الصلحاءِ في مَدِينةِ ثَرْمَدا مِن أعْمَالِ نَجْد- فَقال رحمه اللهُ تَعالى كَما في "مجموع رسائِلِهِ" (٢٤-٢٥): «وَلكِنْ قَبلَ الكلامِ اعْلَم أنِّي عُرِفتُ بأربعِ مسائلَ:

الأوْلى : بَيانُ التَّوحيدِ مَعَ أَنَّهُ لم يَطْرُقْ آذانَ أكثرِ النَّاس[١].

الثَّانية : بَيانُ الشِّرْكِ وَلو كَانَ في كلامِ مَنْ يَنْتَسبُ إلى العلمِ أو العِبادة؛ مِنْ دعوةِ غيرِ اللهِ، أو قَصْدِه بشيءٍ من العبادةِ، ولُو زَعَم أنَّهم يُريدونَ أنهم

---

[١] وَمِنْ أشهرِ مُؤلَّفَاتِه في بيانِ "التَوحِيدِ" وأمورِ العِبادةِ: "ثلاثةُ الأُصولِ" و"القواعدُ الأرْبَعِ".

شُفَعاءُ عِنْدَ اللهِ مع أنَّ أكثرَ النَّاسِ يَظنُّ أنْ هَذا مِنْ أفضلِ القُرُبَاتِ كَما ذَكَرْتُم عَنِ العلماءِ أنّهم يَذْكُرونَ أنَّه قَدْ وَقَعَ في زَمَانِهم[1].

الثَّالثة : تَكْفيرُ مَنْ بانَ لهُ أنَّ التَّوحيدَ هوُ دينُ اللهِ ورسولِهِ ثُمَّ أبْغَضَه ونَفَّرَ النَّاسَ عَنْهُ، وَجَاهدَ مَنْ صَدَّقَ الرَّسولَ فِيهِ وَمَن عَرَفَ الشِّركَ وأنَّ رَسولَ اللهِﷺ بُعِثَ بإنْكَارِهِ وأقرَّ بذلكَ ليلاً ونهاراً ثُمَّ مَدحَهُ وحَسَّنهُ للنَّاسِ وَزعمَ أنّ أهْلَهُ لا يُخطِئونَ لأنَّهمْ السَّوادُ الأعْظمِ، وأمَّا مَا ذَكَر الأعْداءُ عَنِّي أني أُكفِّرُ بالظنِّ، وبِالموالاةِ أوْ أكفرُ الجَاهلَ الَّذِي لم تَقُم عليهِ الحُجَّةُ[2] فَهَذا بُهْتَانٌ عَظيمٌ يُريدونَ بِهِ تَنْفِيرَ النَّاسِ عَنِ اللهِ وَرَسولِهِ[3].

الرَّابعةُ: الأمرُ بقتالِ هؤلاءِ خَاصَّةً حَتَّى لا تَكونَ فِتنةً ويَكونُ الدِّينُ كلُّهُ للهِ، فَلَمَّا اشْتَهرَ عَنِّي هَؤلاءِ الأرْبعِ صَدَّقَني مَنْ يَدَّعِي أنَّهُ مِنَ العُلماءِ في جَمِيعِ البُلْدانِ في التَّوْحيدِ وفي نَفْيِ الشِّركِ وردُّوا عَلى التَّكفيرِ والقِتالِ[3]».

فبين الإمامُ رحمهُ اللهُ تعالى؛ أنّه عُرِف في عَصْرِهِ بإيضاحِ هَذِه المسائلَ،

---

[1] وَمِنْ أشهرِ مؤلَّفاتِهِ في بيانِ الشِّركِ، وَصُوَرِهِ، والتَّرهيبِ مِنه: "نَواقضُ الإسْلامِ" و"كِتَابِ التَّوحيدِ" وَيكْثُر فِيه: بابٌ مِنَ الشِّركِ .. بابٌ من الشِّركِ، كُلّ ذلكَ في بيانِ حقيقةِ الشِّركِ ومَعانيه وَصورِهِ.

[2] يُراجع في هَذهِ المسألةِ كتابيَّ: "براءةُ الشيخينِ مِنْ إعْذارِ الجَاهلينَ بتوحيدِ ربِّ العَالمين" و"رِسالةٌ في التحذيرِ مِنَ الفُرْقَةِ والقولِ في مسألةِ العُذْرِ بالجهلِ".

[3] وَمِنْ أشهرِ مؤلَّفَاتِه في تحقيقِ هَذا الأصلِ: "مُفيد المستفيدِ في كفرِ تاركِ التَّوحيدِ".

[3] وَمِن أشهرِ مُؤلفاتِهِ في هذا: "كَشْفُ الشُّبُهاتِ".

وأوضحَ أنَّ كثــيراً مـن عُلـماءِ عَصْرِه لم يُخَــالفوه في مَعْنَـى التَّوحيـدِ الواجبِ، والشِّركِ المنْهي عَنْه، وإنَّما عَظُمَ الخلافُ والمُكَابَرةُ مِنْ بَعْضِـهم في التَّكْفِيرِ والقِتَالِ.

وهَذِهِ الرِّسَالةِ الَّتِي بَين أيْدِينَا هِي تطبيقٌ وتوضيحٌ للمسـائلِ الأرْبَـعِ الَّتي ذَكرها الإمامُ في رِسَالتِه الآنفةُ الذّكر.

فَالقَاعِدةُ الأوْلى: في بَيانِ التَّوْحِيدِ وَحِقِيقَتِهِ.

وَالقَاعِدةُ الثَّانِيةُ: فِي تَحْقِيقِ مَعنىً خَطِيراً مِنْ مَعَاني الشِّرْكِ.

وَالقَاعِدةُ الثَّالِثَةُ: فِي الأسْمَاءِ وَالأحْكَامِ، أو قل: في التَّكْفِيرِ وَالقِتَال.

وَالقَاعِدةُ الرَّابِعَةُ: مُؤكِّدةٌ للثَّالِثَةِ.

وَقدْ أكثرَ عَلَيّ الطَّلَب الأخُ الجَليلُ، والشَّيخُ النَّبيـلُ: **حُمَيِّـد بِـنْ عَتيـق الهُذلي** حَفِظهُ الله تعالى أنْ أُمْلي عَلِيهِ شَرْحَاً لها أكَثَـر مِـنْ مَـرَّةٍ، فَكـانَ ذَلِـك لِعَظيمِ مَنْزِلَتِه في قَلْبي، ولِلْحَاجةِ الماسَّةِ للعنَايةِ بِهذِهِ الرِّسالةِ، والاهْتِمامِ بِها، ولأنَّ فَهْمَها فَهْماً جَيَّداً يُبينَ للمُنْصِفِ حَقيقةَ دَعوةِ شـيخِ الإسْـلامِ الإمَـامِ محمَّدِ بن عبدِالوَهَّابِ، وَمَبْلغِ جَورِ المُخَالفِين وطَمْسِهم للحقَائقِ.

وجلالَةِ هَذِهِ القَواعدِ فَقد كانَ شَيخُ الإسلام رَحمه الله تعـالى يُكَاتِـبُ بِها الكثيرَ في رَسائلِه ومكاتباتِه، وَرُبَّـما زَادَ في بَعْضِـهَا مَـا لـيسَ في غَيْرِهَـا، وَهِي مَذْكورةٌ في كتابِ "الدُّرر السنية" وَقَد اجْتَهدتُ أنْ أُنَبِّهَ عَـلى مَـواطِنَ الزِّيادَةِ، وَما فِيها مِن فَوائدَ.

وقدْ بـيّنَ مَضْـمُونَ هَـذِهِ القَواعِـد في مـوَاطِنَ، فَيَقُـولُ مَـرَّةً -كَـما في "الدُّررِ" (٢/ ٢٧): «فَهَذِهِ أربعُ قَواعدَ، ذَكَرَهَا اللهُ في مُحْكَـمِ كِتَابِـهِ، يَعـرِفُ بِها الرَّجلُ: شَهادةَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، ويُمَيِّزُ بِها بَـين المُسْـلِمِينَ والمُشْرِكــينَ، فتَدبَّرَهَا يَرْحمُكَ اللهُ، وَأَصْغِ إليهَا فَهمَكَ، فإنّها عَظِيمةُ النَّفْعِ».

ويقول في موطن آخر (٢/ ٣٣): «أربـعُ قواعِـد مِـنْ قَواعِـدِ الـدِّينِ، يُميزُ بِهِنَّ المُسْلِمُ بين مَذْهَبِ المُسْلِمِينَ مِنْ مَذْهَبِ المُشْرِكِينَ».

وهناك أربع مسائل أيضاً ضمن "الدُّررِ السّنية" (٢/ ٥-٢٢) تقارِبُها في المضْمُونِ وَفِيهَا بعضُ الزِّيادَاتِ، وَهِي أكبرُ حَجْماً مِنْ "القَواعد الأرْبع" آنفة الذِّكْر، ذَكرَ الشّيخُ في صَدْرِهَا أنَّها تُميِّزُ بَينَ دينِ المُسْلِمِ والمُشْرِكِ، وَهـي رِسالةٌ لا تَقْصُر عَن "القواعدِ الأرْبَعِ" في الأهميةِ والفائـدةِ، فَألحقتُهـا بِهـا، وعَلّقتُ عَليها بما يَلْزَمْ.

هَذا وإنِّي بِحَمْدِ الله تَعَالى أَرْوي "القواعدَ الأرْبَعِ" بِحَقِ قِرَاءتي لَها عَلى شَيْخِنَا الشَّيخِ إبْرَاهيم بنِ عَبْدِالله بنِ عَتِيقِ بِحَق قِرَاءتِهِ عَلى الشَّيخِ محمَّدِ بنِ إبْرَاهِيم وَهُو يَرْوِيِها إجَازَةً إنْ لم يَكُنْ سَماعَاً عَنْ الشَّيخِ سَعْدِ بنِ حَمَدِ بنِ عَتِيق عَنْ أبيهِ الشَّيخِ حَمَدِ بن عَتِيق وأحْمَد بنِ إبْرَاهيمَ بنِ عِيْسَى كِلاهُمَا عَنْ الشَّيخِ الإمَامِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ حَسَنِ عَنْ جَدِّهِ شَيخِ الإسْلامِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ.

وأرْوِيهِا إجَازةً بِعُلُوٍّ عَنْ شَيْخِنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالرَّحمَنِ بنِ إسْحَاقِ عَنْ سَعْدِ بنِ عَتيقِ بِهِ.

وأرْوِيهِا عَنْ مَشَايِخي عَبْدِالوَكِيلِ الهَاشِمِيِّ وعَبْدِالعَزيزِ الزَّهْرَانيِّ ويحَيى العَظِيم آبادِي وإمامِ المسْجِدِ الحَرَامِ الشَّيْخ مُحَمَّدِ بنِ سُبَيِّلِ وَغيرِهِمْ إجَازةً عن وَالِدِ الأوْلِ الشَّيخِ عَبدِالحقِ الهَاشِمِيِّ وَهُوَ يَرْوِيهِ عَنْ أحْمَد بنِ عَبْدِالله بنِ سَالمِ البَغْدَادِيِّ ثُمَّ المدَنيِّ عَنْ عَبْدِالرَّحْمنِ بنِ حَسَن عَن جدِّهِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ.

وأرْويها قراءة غَيرَ مَرَّةٍ عَلَى شَيْخِنَا عَبْدِالرَّحْمن العَيَّاف بِقراءتِهِ عَلى شَيْخِهِ سُلَيْمان بنِ حَمْدَان، وبِقِرَاءتي عَلى الشَّيخِ محمَّد الشِّدي عَنْ ابن حَمْدانِ؛ قَال: أخْبرَنَا عَبدُالسَتَّارِ الدِّهَلَويُّ ح

وأرْوِيها بِعُلوٍّ إجَازةً عَنْ الشّيخِ مُحَمَّد الطيب الكتاني وعَبْدِالعَظِيمِ الكَتَّانيِّ وَغَيْرِهِمْ عَنْ عَبْدِالسَتَّارِ الدِّهْلَويِّ قَالَ: أخْبرَنَا أحْمَد بنُ إبْرَاهِيمِ بنِ عِيْسَى عَنْ عَبْدِالرَّحْمَن بنِ حَسَنِ به.

وأرْوِيها بِعُلوٍّ قِرَاءةً لَهُا عَلى شَيْخِنَا إبْرَاهِيم بنِ رَاشِدِ الحُدَيْثِي عَنْ جَدِّه لأمِّهِ رُمَيْحِ الرُّمَيْح بِقَرَاءتِهِ عَلَى الشَّيخِ عَبْدالرحمن بن حَسَنْ بِهِ.

وأرْوِيها إجازة عَنْ مشايخي شَمْسِ الحقِ مُلْتَانِي وعَبْدِالقَيُّومِ الرَّحمَاني –كِلاهُما– عَنْ الشَّيخِ أحْمد الله الدِّهْلَويّ عَن الشَّيخِ نَذِيرِ حُسَينِ الدِّهْلَوي

عَنْ عابِدِ السِّنْدِي بإجازَتِهِ لأهْلِ العَصْرِ عَنْ عَبْدِالله بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ عَنْ أبِيهِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ.

وِلِيَ أَسَانِيدِ أُخْرَى إلى هِذَا الكِتَابِ تَرَكْتُهَا اخْتِصَاراً.

الإجازةُ وقيد السَّماع

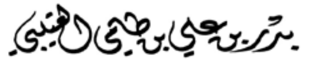
هذا وإنّ الأخ: ....

نفع الله به وجعله مباركاً أينما كان.

قد قَرأ عِنْدي هَذِه الرِّسَالةِ في مَجلسٍ واحدٍ، وذلك يومَ (..............................) الموافق لـ: ..../ شهر ..../ عام ١٤ ،

وإنّنَي أُجِيزُه أنْ يَرْويَ عَنّي هَذِهِ الرِّسَالةَ بأسَانِيدِها المَذْكُورةِ، وَبِكُلِّ مَا يَصِحُ لي مِنَ أَسَانيد، وأنْ يَرويَ عَنّي مَا كَتبْتُه عَليها مِنْ شَرْحٍ، وَوَصِيَتي لَهُ: الْعِنَايةُ بِهَا، وَقِرَاءتها، وإقرائِها، مَعْ لُزُومِ سَبيلِ العِلْم والتَّعْليمِ، وَالعِبادةِ والعَمَل، وَصَلَّى اللهُ وسَلَّم عَلى نَبيِّنا مُحمَّد وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أجمَعِين.

كَتَبه الفَقِيرُ إلى رَبِّهِ العَلي



قَالَ الإمامُ رحمه الله تعالى :

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

أسألُ اللهَ الكَريمَ ربَّ العرشِ العَظيمِ أنْ يَتولاّكَ(1) في الدُّنْيَا والآخِرةِ، وأنْ يجَعلكَ مُبارَكًا أينَما كُنتَ، وأنْ يجعلكَ ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا أُبْتُلي صَبَر، وإذا أذْنَبَ اسْتَغْفَر، فإنّ هَؤلاءِ الثَّلاثِ عُنوانُ السَّعادَةِ(2).

اعْلَم أرْشَدكَ اللهُ لطاعتِهِ: أنَّ الحَنيفيّة(3) ملّةَ إبراهيمَ: أن تَعبُدَ الله

---

(1) ولايةَ النصرةِ والتأييدِ والعونِ.

(2) هذا الكلام مستفاد من كلام الإمام الهمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في أول كتابه "الوابل الصيب" حيث قال: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، **وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد** وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبدا فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث...» ثم تكلَّمَ عَن هذه الثلاثِ: الشكر والصبر والاستغفار بكلامٍ جميلٍ يُراجع هناك.

والشُّكرُ والتوبةُ والصَّبر، هِباتٌ لا ينالُها إلاَّ من اصْطَفاه الله واختاره لها، فالتعرُّضِ للذَّنب ونزول النعمة والنقمة، يشترك فيه المؤمن والكافر، والمؤمن والفاسق، وقد لا يوفَّق الكثير إلى «الشكر على النعمة» و«الصبر عند البلوى» و«الاستغفار عند التوبة» فمن أعطي هذه الثلاث فهو في سعادة وخير.

(3) الحنيفيَّة مِن الحَنَف، وهُو الميلَ، قَالَ تعالى: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [البقرة: ١٣٥] وقال تعالى: ﴿**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٥] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ**

حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] والآيات في المعنى كثيرة، ويقول النبيﷺ: «**أرسلتُ بحنيفية سمحة**» رواه الإمام أحمد.

وسُمِّيت مَلةُ إبراهيمَ بالحنيفيَّةِ لمعنيين عند أهل التفسير:

أولها: المستقيم والمتبع؛ نظراً إلى السلامة والفأل، كما تسمى العرب الصحراء المهلكة مفازة، وهذا مرويٌ عن محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير (٣/ ١٠٤) وقال: «وأما "الحنيف" فإنه المستقيم من كل شيء، وقد قيل: إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له "أحنف" نظراً له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد "المفازة" بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للديغ "السليم" تفاؤلا له بالسلامة من الهلاك».

وهذا فيه نظر؛ فإنَّ الفألَ والنَّظرَ في السَّلامةَ يكون بتسمية المكروه بما يُحمد ولا ينقل المحمود إلى مسمىً مكروه.

والثاني: المائلة عن الشِّركِ المستقيمةُ على التَّوحيد، وقال ابن عباس: الحنيف: «المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام».

قال الزجاج: أنشدوا:

ولكنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا   حنيفاً دينُنا عَنْ كلِّ دِينِ

فالحنيفُ هو المائلُ عن جميع ما يُعبد من دون الله، المستقيمُ على توحيدِ الله، وهذا يوافق كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فأولها ميلٌ عن جميع ما يُعبد من دون الله بالنفي، ثم استقامة على إفراد الله تعالى بالتوحيد بصادق الإثبات.

وهنا مسألة: إذا كانت الحَنِيفيَّة هي التوحيد والإخلاص والاستقامة والاتباع، فلماذا خُصّ بها إبراهيم دون غيره من الأنبياء؟

فيقال: أجاب عنه ابن جرير الطبري(٣/ ١٠٨) بـ: «أن الله تعالى ذكره لم يجعل أحداً منهم إماما لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة، كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إماما فيما بينه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبدا به أبدا إلى قيام الساعة، وجعل ما سن من ذلك علما مميزاً بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيع منهم له والعاصي، فسمي الحنيف من الناس

مُخْلِصًا لهُ الدِّينَ كَما قَالَ تَعَالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:٥٦].

فِإذَا عَرفتَ أنّ اللهَ خَلَقكَ لِعبادتِهِ فاعْلَم: أنّ العِبَادَةَ لا تُسمّى عِبادةً إلاَّ مَعَ التَّوحيدِ، كَما أنّ الصَّلاةَ لا تُسمّى صلاةً إلاّ مَع الطَّهارةِ، فإذا دَخَلَ الشِّركَ في العبادَةِ فَسَدتْ كالحَدَثِ إذا دَخَل في الطَّهارةِ.

فإذا عَرفتَ أنَّ الشِّركَ إذا خَالطَ العِبادةَ أفسْدَها وأحبَطَ العَمَل وَصَارَ صَاحِبَهُ مِنَ الخَالدينَ في النَّارِ عَرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفةُ ذَلكَ، لَعلّ اللهَ أنْ يُخلّصكَ مِن هَذه الشَّبَكة، وَهِي الشِّركُ بالله الَّذي قَالَ اللهُ فِيه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء:١١٦][1].

"حنيفا" باتباعه ملته، واستقامته على هديه ومنهاجه، وسمي الضال من ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: "يهودي، ونصراني، ومجوسي"، وغير ذلك من صنوف الملل».

[1] في موطنٍ في "الدرر" (٢/ ٣٦-٣٧) لم يستدل بهذه الآية، وإنما استدل بغيرها، وأضاف كلاماً فقال: «كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [التوبة: ١٧] فَمَنْ دَعَا غيرَ الله، طَالِبا مِنهُ مَا لا يَقْدرُ عليه إلا اللهُ، مِنْ جَلْبِ خَيرٍ، أو دَفْعِ ضُرٍّ، فَقدْ أشْرَك في عبادةِ الله، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر: ١٣-١٤] فَأَخْبَرَ تَبَاركَ وتَعالى أنَّ دُعاءَ غَيرِ الله شركٌ، فَمن قَال: يا رسولَ الله! أو: يا عبدَالله بن عباس: أو: يا عبدالقادر، أو: يا محجوب! زاعماً أنه

يقضي حاجته إلى الله تعالى، أو أنه شفيعه عنده! أو وسيلتُه إليه، فهو الشِّركُ الَّذِي يُهدر الدَّمِ، ويُبيحُ المال، إلا أن يتوب من ذلك؛ وكذلك من ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو توكل على غير الله، أو رجا غير الله، أو التجأ إلى غير الله، أو استغاث بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو أيضا شركٌ.

وما ذكرنا من أنواع الشرك فهو الذي قال الله فيه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾ [النساء: ٤٨] ، وهذا الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ مشركي العرب، وأمرهم بإخلاص العبادة لله».

وهذا الكلام فيه فوائد:

منها: أن من دلائل خطورة الشرك أنه يحبط جميع الأعمال، ويوجب الخلود في النار.

ومنها: وأنه لا أحد أضلّ ممن يدعو مع الله إلهاً غيره.

ومنها: أن من صور دعاء غير الله؛ من يستغيث بالرسولﷺ أو بعبدالله بن عباس، أو بعبدالقادر الجيلاني، أو بالشيخ محجوب، وهذا واقع من كثير من الخلق، ولا ينكره إلا مكابر، قال الشيخ محمد بشير السهسواني في "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان" (ص ١٦١): «ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالاً فليخبرنا ما معنى ما سمه في الأقطار اليمنية من قولهم: يا ابن العجيلي، يا زيلعي، يا ابن علوان، يا فلان يا فلان؟ هل ينكر هذا منكر، ويشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطمُّ وأعمُّ، ففي كل قرية ميْتٍ يعتقدُه أهلُها وينادونه وفي كل مدينة جماعة منهم، حتى أنهم في حَرمِ الله ينادون: يا ابن عباس، يا محجوب، فما ظنك بغير ذلك؟ فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

ومنها: أن تسمية الشِّركِ وسيلةً وشفاعةً لا يَنْفِي كونَه شركاً، لما فيه من صريح طلب الغوث والحاجة من الأموات.

ومنها: أن الاستغاثةَ لا تكون شركاً إلاّ إذا كانت فيما لا يقدر عليه المخلوق، بعجزه أو بغيابه.

ومنها: أن هذه الأنواع من الشِّركِ هِيَ التي لا يغفرها الله عز وجل، وهي الَّتي من أجلها قاتل النبيﷺ مشركي العرب، وأمرهم بإخلاص العبادة لله.

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه:

القاعدة الأولى

[مجردُ الإقْرَارِ لله بِالرُّبُوبيَّةِ وَالخَالِقِيةِ لا يُدْخِل في الإسْلامِ[1]]

القاعدة الأولى[2]: أن تَعلَمَ أنّ الكُفّارَ الّذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ

[1] ما بين المعكوفتين من إضافاتي للدلالة على ما تتضمنه القاعدة.

[2] وفي لفظٍ في "الدُّرر" (٢/ ٣٣): «القاعدةُ الأولى: أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، الضار، النافع؛ ولم ينفعهم إقرارهم، إذ لم يخلصوا الدعاء لله وحده؛ والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥] ، إلى قوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ الآية [الزمر: ٣٨] وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] ، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ الآية [فاطر: ١٣-١٤] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [الأحقاف: ٤] إلى قوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]».

وكل هذه الأدلة تؤكدُ أنَّ المشركينَ الأوائل لم يكونوا يُنكرون توحيدَ الرُّبوبيةَ، فقد ذكرَ الله أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم يقرون بانفراد الله تعالى بـ: الرَّزقِ، وملكِ السمع والأبصار، وإخراجِ الحي من الميت، والميت من الحي، وتدبيرِ الأمور، وإنجائِهم من الكروب، وإجابةِ دعاء المضطرين، وربوبيةِ الله للسموات والأرض وتدبيرهما، وربوبيته للعرش،

يُقِرُّون بِأنّ اللهَ تَعَالى هُـو الخَـالِق[1] المـدبِّر، وأنّ ذلَـك لم يُـدْخِلْهم في الإسْلامِ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١][2].

وملكه، وملكوتِ كلِّ شيء، وأنَّه يُجيرُ ولا يُجَارُ عليه، وخلقِ السموات والأرض ومن فيها، والإحياء والإماتة، وإنزالِ المطر، وكشفِ الضرِّ وجلب النفع، بل ويقرون بانفراد الله تعالى بحق القصد والطلب من الدعاء والاستغاثة، وأن آلهتهم لا تنفعهم بشيء في وقت الشدة كما سيأتي في القاعدة الرابعة! ويراجع كتابي "الإفادة بتحقيق معنى العبادة" ففيه مزيد أدلة وبيان.

[1] في "الدُّرر" (٢/ ٢٤): «الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ المدبِّرُ لجميعِ الأمورِ» وفي موطنٍ آخر (٢/ ٣٧) : «الضَّارُ النَّافعُ».

[2] في موطن آخر في "الدرر" (٢/ ٣٧-٣٨) زاد: «وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِّ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ للهِّ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِّ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤"٨٩] إذا عرفت هذه القاعدة، وأنهم أقروا بهذا، ثم توجهوا إلى غير الله، فاعرف القاعدة الثانية..» ثم ذكرها.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في "قرة عيون الموحدين" (ص١٩٣): «وقد اشتبه معنى هذه الكلمة العظيمة، التي هي الفارقة بين الكفر والإيمان، فظنّ الأكثر أنها دلّت على توحيد الربوبية، وأنه هو معناها كالأشعري وغيره من المتكلمين، قالوا: إنّ الإله هو القادر على الاختراع! وهذا التوحيد قد أقرّ به المشركون من العرب وغيرهم.. -ثم ذكر الأدلة السابقة، ثم قال:- فلم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام، لأنهم جحدوا توحيد العبادة، وهو توحيد القصد والطلب».

فهذه القاعدة تحقق معنى التوحيد الواجب، الذي من أجله خلق الله الخلق، وبعث الرسل، وهذا هو المقصد الأول من مقاصد دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

القاعدة الثانية

[شركُ المتأخرِينَ هُوَ بِعينِهِ شِركُ المتقدِّمينَ باتِّخَاذِ الوُسَطاءِ والشُّفَعَاءِ بَيْنَهُم وبَينَ اللهِ]

القاعدة الثانية(١): أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة(٢)، فدليل القُربة؛ قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

---

(١) وفي لفظٍ في "الدُّرر" (٢/ ٣٤): «القاعدة الثانية: أنَّ هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول اللهﷺ، ما قصدوا من قصدوا بعبادتهم إلا لأجلِ التَّقرُّب والشَّفَاعةِ منهم إلى الله، وأنه عزَّ وجلَّ نزَّهَ نفسه عن أنْ يُتَّخذَ مِن دونِهِ ولي أو شفيع؛ بل أمرنا بالإخلاص، وهو: أن لا يجعل له واسطة: فلا نستغيث، ولا نستعين إلا به؛ والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ الآية [الزمر: ٣] ، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ الآية [يونس: ١٨] ، وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ الآية [الزمر: ٤٤] » .

والمعنى في كلّ ذلك واضح، وهو أنهم يزعمون أن مرادهم القربة والشفاعة، بينما حقيقة حالهم هو الطلب المباشر، والاستغاثة بهم، وطرح الحاجات بين أيديهم من دون توجه لله تعالى، لا باللسان ولا بالقلب! فهم على ذلك يكذبون، ولم يدفع الكذب عنهم الكفر! فقال الله تعالى في آخر آية يونس: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وقال في آخر آية الزُّمَر: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فكذبهم الله تعالى وكفّرهم، ووصف طلبهم للقربى والشفاعة شركٌ وكفر.

(٢) في "الدُّرر" (٢/ ٢٤): «نريد من الله لا منهم، لكن بشفاعتهم والتقرب إلى الله بهم» وهذا حال المشركين المتأخرين في دعواهم أن من يدعونهم إنما هم "وسيلة" و "واسطة" بينهم وبين الله.

أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣].

ودليلُ الشَّفَاعَةِ؛ قولُهُ تَعَالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨].

والشَّفَاعةُ شفاعَتَانِ: شفاعةٌ مَنْفَيّةٌ وَشَفاعةٌ مُثْبَتةٌ[١]:

فالشفاعةُ المنفيّة؛ ما كانت تُطْلَب مِنْ غيرِ الله فِيما لا يَقْدرَ عَلِيهِ إلاّ اللهُ، والدّليل قولُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤].

والشَّفاعةُ المثبَتةُ هِي: التي تُطلب من الله[٢]، والشّافعُ مُكْرَمٌ بالشَّفَاعةِ، والمشْفوعُ لهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَه وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإذْنِ كما قَالَ تَعَالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

---

[١] أي من الشّفاعةِ ما جاء في القرآن الكريم نفيه وأنه لا ينفع، ومنها ما جاء فيه إثبات نفعها بشروطها.

[٢] في "الدُّررِ" (٢/ ٢٤): «فيما لا يقدر عليه إلا الله» وليس المراد أن يُطلب من الله الشفاعة، فالله مالك الملك، والخلق مفتقرون إليه، لا يشفع عند أحد! ولهذا لما قال الأعرابي: «**ونستشفع بالله عليك**» غضب النبيﷺ وقال: «**ويحك، أتدري ما تقول؟ وسبح رسول اللهﷺ فما زال يسبح، حتى عرف ذلك في وجه أصحابه، ثم قال: إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من**

ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا، وقال بأصبعه – مثل القُبَّةِ عَليهِ – وإنَّه ليئطُ أطيطَ الرَّحلِ بالرَّاكب» رواه أبو داود بسندٍ جيّد.

وإنما المراد أحد وجهين:

الأول: أنه ما يفعله المشركون من دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين من قضاء الحوائج ودفع الملمّات مما لا يقدر عليه إلا الله، مما يسمونه استشفاعاً وقربى لا يطلب إلا من الله تعالى.

والثاني: أن يقال: اللهم شفّع في فلان.

ثم في طلب الشّفَاعةِ من المخلوق شَرْطان:

الأول: إذنُ اللهِ تعالى الشَّرْعِي؛ وهذا له حَالان:

الحالُ الأوَّل: في الحياةِ الدنيا، بما شرع الله تعالى من الدعاء للغير، والصلاة على الميت، والاستغفار له، فكلّ هذه الأعمال ونحوها شفاعات، شُرعت بإذن الله تعالى.

والحال الثاني: في الآخرة –ومن ذلك البرزخ– فإنَّ أهلَ البرزخ لم يؤذن لهم بالشفاعة، وإنما هو بحاجة إلى من يشفع لهم بالدعاء والاستغفار والصلاة على الميت والصدقة عنه ونحو ذلك، ولم يأتِ دليل بأن الأموات يشفعون للأحياء قبل إذن الله تعالى، وإذنُ الله تعالى لا يكون إلا يوم القيامة، بعدما يأذن سُبحانه لأوَّلِهم ومُقدّمِهم وَهُو النَّبيُّﷺ بالشفاعة، وهذا فيه دليل على أن النبيﷺ لا يملك تلك الشفاعة في حياتِهِ ولا في البرزخ، وإنما هو موعودٌ بها، والمؤمنون يدعون الله تعالى دوماً أن ينجز وعده لنبيهﷺ ويبعثه المقامُ المحمودُ الَّذي وَعَدهُ فإنه لا يخلف الميعاد، ولم يُنقل عن النبيﷺ أنه وهبها لأحد وهو لم يملكها، وإنما وَعَد بناء على وعد الله تعالى بشفاعته لأمته في أعمال عدة، بأن من فعل كذا فقد وجبت له شفاعتي ونحو ذلك، ولا يملّكها النبيﷺ ويؤذن له بها إلا في ذلك اليوم، لأنَّ الشَّفَاعةَ كلّها لله، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ للهِّ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [الزمر: ٤٤] أي مُلْك الشفاعة لله تعالى، لا يشفع أحدٌ إلا بإذنه وأمره.

الشَّرطُ الثَّاني: رضى الله عن المشفوع؛ وهذا شرطٌ في الدُّورِ الثَّلاثةِ: الدُّنيا والبرزخ والآخرة، فَلا يجوزُ للمُسْلِمِ أنْ يستغفر للمشركين، في الدنيا ولا في البرزخ، ولن تَنْفعهم شفاعةُ الشافعين في الآخرة.

وسُئل الشيخ حمد بن ناصر بن معمر؛ رحمه الله تعالى، عن الفرق بين الشفاعة المثبتة، والمنفية؟

فأجاب: «أما الفرق بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، فهي مسألة عظيمة، ومن لم يعرفها لم يعرف حقيقة التوحيد والشرك؛ والشيخ رحمه الله تعالى عقد لها باباً في كتاب التوحيد، فقال: باب الشفاعة، وقول الله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ**﴾ [الأنعام: ٥١] ، ثم ساق الآيات، وعقبه بكلام الشيخ تقي الدين، فأنت راجع الباب، وأمعن النظر فيه، يتبين لك حقيقة الشفاعة، والفرق بين ما أثبته القرآن وما نفاه، وإذا تأمل الإنسان القرآن، وجد فيه آيات كثيرة في نفي الشفاعة، وآيات كثيرة في إثباتها؛ فالآيات التي فيها نفي الشفاعة، مثل قوله: ﴿**لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ**﴾ [الأنعام: ٥١] ، ومثل قوله: ﴿**أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٤] ، وقوله: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [السجدة: ٤] ، وقوله: ﴿**قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ [الزمر: ٤٤] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الآيات التي فيها إثبات الشفاعة، فمثل قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ [النجم: ٢٦] ، وقوله: ﴿**وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سبأ: ٢٣] ، وقوله: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ [طه: ١٠٩] ، إلى غير ذلك من الآيات.

فالشفاعة التي نفاها القرآن هي التي يطلبها المشركون من غير الله، فيأتون إلى قبرِ النبيﷺ أو إلى قبر من يظنونه من الأولياء والصالحين؛ فيستغيث به، ويستشفع به إلى الله، لظنه أنه إذا فعل ذلك شفع له عند الله، وقضى الله حاجته، سواء أراد حاجة دنيوية أو حاجة أُخرَوية، كما حكى الله عن المشركين في قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ**﴾ [يونس: ١٨] ، لكن كان الكفار الأولون، يستشفعون بهم في قضاء الحاجات الدنيوية، وأما المعاد، فكانوا مكذبين به، جاحدين له، وأمَّا المشركون اليوم فيطلبون من غير الله حوائج الدنيا والآخرة، ويتقربون بذلك إلى الله، ويستدلون

عليه بالأدلة الباطلة، و﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

وأما الشَّفاعة: التي أثبتها القرآن، فقيدها سبحانه بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع له؛ فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا إلا لمن رضي قوله وعمله؛ وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

وأخبرَ الرَّسولﷺ أن أسعد الناس بشفاعته أهل التوحيد والإخلاص، فمن طلبها منه اليوم، حرمها يوم القيامة؛ والله سبحانه قد أخبر أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين؛ وإنما تنفع من جرد توحيده، بحيث أن يكون الله وحده هو إلهه، ومعبوده؛ وهو سبحانه: لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، كما قال تعالى: ﴿أَلا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

فإذا تأملت الآيات، تبين لك أن الشفاعة المنفية هي التي يظنها المشركون، ويطلبونها اليوم من غير الله، وأما الشفاعة المثبتة فهي التي لأهل التوحيد والإخلاص، كما أخبر الرسولﷺ أن شفاعته نائلة من مات من أمته، لا يشرك بالله شيئا؛ والله أعلم» من "الدرر السنية" (٢/ ١٥٧-١٥٩) نقلت كامل الجواب لنفاسته.

وقال المقريزي (ت:٨٤٥هـ) في "تجريد التوحيد" (ص١٤-١٥): «وشرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلهيّة، وشرك في الربوبيّة: **فالشرك في الإلهيّة والعبادة**: هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبّاد الأصنام، وعبّاد الملائكة، وعبّاد الجنّ، وعبّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات، الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلهيّة كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وتردّه، وتقبّح أهله، وتنص على أنهم أعداء الله – تعالى –، وجميع الرسل – صلوات الله عليهم – متفقون على ذلك، من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله – تعالى – من أهلك من الأمم إلاّ بسبب هذا الشرك، ومن أجله. وأصله: الشرك في محبّة الله، قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ [البقرة:١٦٥] فأخبر

القاعدة الثالثة

[أنَّ كُلَّ مَنْ أشْرَكَ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ فَهُوَ مُشْرِكٌ سَواءٌ عَبَد مَلكاً مُقرَّباً أو نَبيَّاً مُرْسَلاً أوْ شَجَراً أو حَجَراً، لا فَرْقَ بَينَ الجَّميع في الاسْمِ والحُكْم]

القاعدة الثالثة[1]: أنّ النّبيَّ ﷺ ظَهَر عَلى أُناسٍ مُتَفـرّقِينَ في عِبَاداتِهِمْ مِنْهُم مَن يَعبُد الملائكةَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدِ الأنْبِيـاءَ والصَّـالحِينَ، وَمِـنْهُمْ مَـنْ

سبحانه وتعالى أنه من أحبّ مع الله شيئًا غيره كما يحبّه فقد اتّخذ ندًّا من دونه. وهذا على أصح القولين في الآية: أنهم يحبونهم كما يحبون الله، وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١] والمعنى على أصح القولين: أنهم يعدلون به غيره في العبادة، فيسوون بينه وبين غيره في الحبّ والعبادة. وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرّين بأن الله - تعالى - وحده هو ربّهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها لله وحده، وأنه ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله - تعالى - في المحبّة والعبادة، فمن أحبّ غير الله - تعالى - وخافه ورجاه، وذلّ له كما يحبّ الله - تعالى - ويخافه ويرجوه؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحبّ إليه، وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله؟. فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًا، فما الظن بهذا؟، فعياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التّوحيد والإسلام كانسلاخ الحيّة من قشرها، وهو يظن أنه مسلم موحّد، فهذا أحد أنواع الشرك».

[1] وفي لفظٍ في "الدرر" (٢/ ٣٤) : «القاعدة الثالثة: أن رسول اللهﷺ أرسل إلى أناس، منهم: من يعبد الأصنام الجمادات، والسحرة، والكهنة، والشياطين؛ ومنهم: من يعبد الملائكة، والصالحين؛

يَعْبُدِ الأحْجَارَ والأشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدِ الشَّمْسَ والقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ **ولم يفرِّق بينهم**، والدَّليلُ قولُهُ تَعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ﴾**[البقرة:١٩٣].

ودليلُ الشَّمْسِ والقَمَرِ قولُهُ تَعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾**[فصلت:٣٧].

فلم يفرق بين الكل، بل قاتلهم جميعاً، ولا فرق بينهم، إلى أن كان الدين كله لله، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾** الآية [الإسراء: ٥٦-٥٧] . وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾** الآية [سبأ: ٤٠"٤١] ، وقال تعالى: **﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾** [يونس: ٢٨]».

وفي لفظٍ آخر "الدُّررِ" (٢/ ٣٨-٣٩): «القاعدة الثالثة، وهي: أن منهم من تبرأ من الأصنام، وتعلق بالصالحين، مثل عيسى، وأمِّهِ، والأولياء، قال الله فيمن اعتقد في عيسى وأمه: **﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [المائدة: ٧٥-٧٦] ، وقال تعالى: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾** الآية [التوبة: ٣١] وقال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾** [الإسراء: ٥٧] . والرسولﷺ قاتل من عبد الأصنام، ومن عبد الصالحين، ولم يفرق بين أحد منهم، حتى كان الدين كله لله».

ودليلُ الملائكةِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[آل عمران:٨٠](١).

ودليلُ الأنْبياءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦](٢).

ودليلُ الصَّالحينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الآية [الإسراء:٥٧](٣).

---

(١) في "الدُّرر" (٢/ ٢٥) ذكر بدل هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠- ٤١].

(٢) في "الدُّرر" (٢/ ٢٥) زاد: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]

(٣) في "الدُّرر" (٢/ ٢٥) ذكر بدل هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] والمعنى في الآيتين واضح، أما الآية الأولى ففيها الدلالة على أن من يدعونهم من الصالحين هم عباد مثلهم فقراء إلى الله، يبتغون إليه الوسيلة بالأعمال الصالحة، ويرجون رحمته ويخافون عذابهم، فكيف يعبدونهم من دون الله؟ وما الآية الثانية فقوله: الذين إشارة للعاقل، وهم الصالحون الذين يدعونهم من دون الله تعالى، وبين الله فقرهم وعجزهم بأنه لا يستطيعون كشف الضرّ بعد وقوعه، ولا تحويله قبل وقوعه.

ودَليلُ الأحْجَارِ والأشْجَارِ قولُهُ تَعَالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾[النجم:١٩-٢٠][١].

وحدِيثُ أبي واقدٍ اللَّيثي ﷺ قَالَ: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.. » الحديث[٢].

---

[١] "اللات" صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، فبعث رسول اللهﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

والعزى: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة - بين مكة والطائف - كانت قريش يعظمونها، ولما فتح رسول اللهﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة - وكانت بها العزى، وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبيﷺ فأخبره، فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما أبْصَرَتْهُ السَّدَنَةُ أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى يا عزى! فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها، تحفن التراب على رأسها، فعمها بالسيف فقتلها، ثم رجع إلى رسول اللهﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى» فيعظمون الشجرة من أجلها كما يعظمون الصخرة من أجل الرجل الذي كان يلتّ السويق.

[٢] في "الدرر" (٢/ ٢٦) أتم الحديث، وقال: فقال رسول اللهﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى:، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾».

ففي كلّ هذه الأدلة البرهان المبين على أن المشركين الذين قاتلهم النبيﷺ لم يكونوا يعبدوا أصناماً مجردة عن المعاني والدلالات عندهم، بل كانوا يعبدون ما يدلّهم على نبيٍّ أو مَلَك أو رجلٍ صالحٍ أو

القاعدة الرابعة

[شركُ المتأخِرينَ أغَلَظُ مِنْ شِرْكِ المتقدِّمِينَ مِنْ وجوهٍ]

القاعدة الرابعة[1]: أنّ مُشْرِكي زَمَانِنِا أغْلظُ شِرْكًا مِنْ الأوّلينَ، لأنّ الأوّلينَ يُشرِكُونَ في الرَّخاءِ وَيُخلِصُونَ في الشِدّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنا شِرْكُهُم دائمٌ؛ في الرَّخَاءِ والشِدّة، والدليلُ قولُهُ تَعَالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا**

جنٍّ ونحوه، وكّلهم حكمهم واحد من حيث الاسم والحكم، فقد خرجوا بذلك من ملة إبراهيم إلى ملة الشرك والكفر، وحكمهم واحد وهو القتال، ولم يفرّق النبيﷺ بينهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى.

[1] وفي لفظٍ في "الدرر" (٢/ ٣٥): «القاعدة الرابعة: أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم النبيﷺ إذا أصابهم الضر لم يجعلوا لله واسطة، بل يدعونه وحده مخلصين له الدين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [الروم: ٣٣] ، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**﴾ الآية [لقمان: ٣٢] وصلى الله على محمد».

وفي موطن آخر من "الدرر" (٢/ ٣٩): «القاعدة الرابعة: وهي أن الأولين يخلصون لله في الشدائد، وينسون ما يشركون، كما قال تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٥] . وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله؛ فإذا عرفت هذا، فاعرف أن شرك المشركين، الذين كانوا في زمان رسول اللهﷺ أخف من شرك أهل زماننا، لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد، وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدة والرخاء؛ والله أعلم».

اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ﴾[العنكبوت:٦٥-٦٦][1].

---

[1] في "الدرر" (٢/ ٢٦) زاد: «فعلى هذا: الداعي عابد والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهَّ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] والله سبحانه أعلم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم».

ووجه الدلالة على أن الداعي عابد في آية العنكبوت: أنه الله تعالى قال في أولها: ﴿اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ **ثم وصف دعاءهم غير الله بأنه شرك في آخر الآية فقال:** ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وهذا واقع كما ذكر الإمام، فشرك المتأخرين يعظم في الشدة، ومن ذلك ما ذكره الزبيدي الصوفي في كتابه "طبقات الخواص" (ص١٠٢) في ترجمة إسماعيل الجبرتي، أنه في أثناء الدرس قام فجأة وقال: الجلبة الجلبة! وأخذ يشير بيده كأنه يمسك شيئاً، ثم بعد ليال جاء الشيخ يعقوب المخاوي من السفر، وأخبر أنه حصل عليهم في البحر ليلة كذا ريحٌ عاصف، وتغير البحر حتى أشرفوا على الهلاك، قال: فقلت: يا شيخ إسماعيل الغارة! يا أهل يس! قال: فرأيته والله بعيني وقد أقبل على وجه الماء كالطائر، وأمسك الجلبة بيده! وكان يعقوب كثير السفر، وقد شكى للشيخ إسماعيل كثرة أهوال البحر فقال له: إذا حدث عليك شيء فقل: يا أهل يس!

ونقل في ترجمة محمد بن يعقوب الكميت المعروف بأبي حربة! (ص٢٧٥) أنه ركب البحر مع أصحابه، فعصفت بهم الريح، وسقط الشراع، وأشرفوا على الغرق، قال: فتعلقوا به ولازموه في كشف ذلك عنهم، فقام إلى الدقل، ووضع يده على موضع الكسر، وقال: يا رسول الله اشعب، فالتأم الدقل بإذن الله تعالى وارتفع الشراع وساروا سالمين!

ونقل في ترجمة من وصفه بالولي العارف أبي الحسن علي بن عبدالله الطواشي (ص١٩٩) أن بعض أصحابه اشتكى له من الشياطين وعبثها به، فقال له: إذا رأيت شيئاً من ذلك فنادِ باسمي!

فأي الفريقين خير؟ هؤلاء الذين يزعمون الإسلام وينطقون بالشهادتين أم كفار قريش الذين يلجئون إلى الله في وقت الشدة؟

وقد ذكر الإمام هنا فرقاً واحداً يدل على أن شرك المتأخرين أغلظ من شرك المتقدمين، وقال في كتابه "كشف الشبهات" كشف الشبهات (ص: ٣٣-٣٥): فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٦٧]

﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٠ - ٤١]

وقوله: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ**﴾ [الزمر: ٨] إلى قوله: ﴿**قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**﴾ [الزمر: ٨] وقوله: ﴿**وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا، والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به».

ويضاف إلى ذلك فروق أخرى:

منها: أن شرك الأولين غالبه في توحيد الألوهية، وزاد شرك المتأخرين بما هو أقبح من شرك المتقدمين، فأشركوا مع الله تعالى في ربوبيته وألوهيته! قال يقول شيخ مشايخنا الحافظ حافظ الحكمي في "معارج القبول" (٢/ ٤٨٥): «وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عباد القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الولي في الرخاء ببعير أو تبيع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة، زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك. وأيضا فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا الله، وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه: إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى الله وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون له شريك في الملك أو ولي من الذل: ﴿لَو كَانَ فيهِمَا آلِهَة إِلَّا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء:٢٢] ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهَّ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣]».

وكلامه حق، وليس هو من نسج الفِرى والخيالات، بل هذا في صريح كلامهم، ومن ذلك ما قاله الشعراني الصوفي في "طبقاته" (٢/ ٧٩) عمَّن سماه : شمس الدِّين الحنفي بأنه: «أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ومكنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب».

فَنَسب إليه التصرف في الكون، وتبديل الأحوال، وعلم الغيب، وقلب له الأعيان، وكل ذلك من خصائص الربوبية، فهل سيحكم بكفره؟

وهذا إبراهيم بن نياس الصوفي كما في "جواهر المعاني" (٢/ ٧٧) ينشد عن نفسه قوله:

قد خصني بالعلم والتصريفِ إن قلت كن: يكن بلا تسويفِ
لكنّني اتخذته وكيلا تأدباً واختارني خليلاً!!

والله الذي يملك الدنيا والآخرة، وعنده أم الكتاب، وعلّم بالقلم، وهذا من خصائصه سبحانه وتعالى، فكيف يجوز لمسلم أن ينسب هذا إلى مخلوق، ويقول:

فإن من جــــودك الدنيـــا وضرّتها　　　ومـــن علومكِ علم اللوح والقلمِ!

أليس هذا اعتقاد بنسبة شيءٍ من خصائص الربوبية إلى غير الله؟

ومن خصائص الله تعالى: أنه ينزل الغيث! وهذا ابن ضيف الله الصوفي في "طبقاته" (ص٢٥٨) يقول عن عبدالرحيم ابن الشيخ عبدالله العركي بأنه: «بيّاع المطر لأنه كان يبيعه على الناس».

وانظر إلى ما يقوله يوسف النبهاني في "كرامات الأولياء" (٢/ ٢٧٦): «عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين، كان له خوارق مدهشة، ومنها أنه كان يأمر السحاب أن يمطر لوقته».

وتأمل ما نقله الشعراني في "طبقاته" (٢/ ٩٠) عن أحمد التيجاني قوله: «وليس لأحدٍ من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي! وأما سائر سادتنا الأولياء رضي الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد المناقشة والحساب!».

فأي شركٍ أقبح من هذا الشرك الذي ما نطق به أبو جهل ولا أبو لهب! ثم يأتي من يشك في كفر هؤلاء بدعوى أنهم ينطقون بـ: لا إله إلا الله؟!

أيضاً من دلائل قبح شرك المتأخرين: أن شرك الأولين يكون بما يعتقدون أنه مرضياً لله مقرباً إليه، وأما شرك المتأخرين فبخلاف ذلك، ولا يقصدون القربى إلا لمعبوديهم من دون الله.

ومنها: أن أكثرهم يرى أن الاستغاثة بإلهه الذي يعبده عند قبره أو غيره أنفع وأنجح من الاستغاثة بالله في المسجد، ويصرحون بذلك، والحكايات عنهم بذلك فيها طول، وهذا أمر ما بلغ إليه شرك الأولين، قاله الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد" (ص ٥٨).

ومنها: تفضيلهم للأضرحة والقبور على خير البقاع وأحبها إلى الله وهي المساجد، فيعتقدون أن العبادة والعكوف فيها أفضل من العبادة والعكوف في المساجد، وهذا أمر ما بلغ إليه شرك الأولين، فإنهم يعظمون المسجد الحرام أعظم من بيوت الأصنام يرون فضله عليها، وهؤلاء يرون العكوف في المشاهد أفضل من العكوف في المساجد، قاله الشيخ سليمان في "تيسير العزيز" (ص٢٨٢).

والحمدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ، وَصلَّى اللهُ عَلى مُحمّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينَ.

تمَّتْ رِسَالةُ القَواعدُ الأرْبَعِ لشيخِ الإسْلامِ الإمَامِ مُحمّدُ بنُ عَبْدالوهابِ رَحِمَهُ الله تَعَالى.

وسيأتي في "المسائل الأربع التي تميز بين المسلم والمشرك" من كلام الإمام محمد قوله: «ولهذا يوجد في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم، لأنهم أجهل من غيرهم، وأكثر شركاً وبدعًا؛ ولهذا: يعظِّمون المشاهدَ، ويخرِّبُون المسَّاجد، فالمساجد لا يصلون فيها جمعة، ولا جماعة؛ وأما المشاهد فيعظمونها، حتى يرون زيارتها أولى من الحج».

ومنها: أنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، قاله الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد" (ص ٤١٧).

أربعُ مسائل يتميَّز بها المسلم من المشرك[1]

قَالَ شيخُ الإسْلامِ محمَّد بنُ عبدِالوهَّابِ، قدَّس اللهُ رُوْحَه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله الَّذي يُستَدلُّ عَلى وُجُوبِ[2] وُجُودِهِ بِبَدائعَ لَهُ مِنَ الأفْعَالِ، المنزَّهِ في ذَاتِه وَصِفَاتِه عَنِ النَّظَائرِ وَالأمْثَالِ، أنْشَأ المَوْجُودَاتِ فَلا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ، أحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وأشْكُرُهُ إذْ هَدَانَا لدينِ الإسْلامِ، وَأزَاحَ عَنَّا شُبَهِ الزَّيغِ والضَّلالِ، وأشْهَدُ أنَّ لا إلَهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهادةَ مُوحِّدٍ لهُ في الغُدوِّ والآصَالِ.

وأشهدُ أنَّ سَيِّدَنَا محمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، نَبيٌّ جَاءَنَا بِدينٍ قَوَيمٍ، فارتَوَيْنَا ممَّا جَاءَنَا بِهِ مِنَ عَذْبٍ زُلالٍ، اللَّهُمّ صَلِّ عَلى محمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ وأصْحَابِهِ الَّذِينَ هُم خيرُ صَحْبٍ وآل، وسلّمْ تَسْلِيماً.

أمَّا بعدُ: فَقَد طَلَب مِنِّي بَعْضُ الأصْدِقاءُ الَّذِينَ لا تَنْبَغِي مخالفتهم، أن أجمع مؤلفا يَشْتَمِلَ على مَسائلَ أرْبعٍ، وقَواعدَ أرْبَعٍ، **يَتَمَيّزُ بِهِنَّ المُسْلمُ مِنَ المُشْرِكِ.**

---

[1] "الدرر السنية" (٢/ ٥-٢٢) وهكذا سماها الإمام في أول ما كتب فيها.

[2] وجب وجوده بالفطرة والعقل والنقل، وهو ما لا يقبل العقل والواقع فناءه وعدمه، وهو الغني بنفسه، بعكس المخلوق: حادث الوجود، أو ممكن الوجود، فقد يوجد وهو مسبوق بالعدم، وآخره العدم إلا ما خلقه الله للبقاء.

المسألة الأولى

[تمامُ حُجَّةِ الله تَعَالى عَلى خَلْقِهِ بِبِعْثَةِ الرُّسُلِ لِيُطَاعُوا[1]]

الأولى: أنَّ الَّذي خَلَقنا وَصوَّرَنَا لم يَتْرُكْنَا هَمَلا، بلْ أرسلَ إلينَا رَسولاً، مَعهُ كِتَابٌ مِنْ رَبِّنَا، فَمَن أطاعَ فَهُوَ في الجَنَّةِ، وَمَنْ عَصَى فَهُو فِيْ النَّارِ، والدَّليلُ قولُهُ تَعَالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً**﴾ [المزمل: ١٥].

وَقَال تَعَالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [النساء: ١٣-١٤][2].

---

[1] من إضافاتي لبيان مضمون الكلام التالي.

[2] ذكر الإمام هذه المسألة في "ثلاثة الأصول" أيضاً، والمراد بها تمام حجة الله تعالى على الخلق بإرسال الرسل، وأمرهم للأمم بالتوحيد، وتحذيرهم عن الشرك، فتمت حجة الله تعالى، وانقطع العذر عن الناس، فليس لهم حجة على الله بعد الرسل، كما قال تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهَّ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُّ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٥].

المسألة الثانية

[غايةُ خَلْقِ الخَلْقِ إخلاصُ الله تَعَالى بِالعِبَادَةِ]

الثانية: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَا خَلَق الخَلْقَ إلا لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينِ، والدَّليلُ عَلَى ذَلِكَ، قولُهُ تَعَالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥][1].

---

[1] وهذه أم المسائل، وغاية خلق الخلق، وبعثة الرسل، وإنزال الكتب، وقيام سوق الجنة والنار، كلّه من أجل أن يعبد الله تعالى وحده، وهذا أعظم ما يؤكد أهمية التوحيد، وعلو شأنه.

وفي الآية الأولى بيان أن غاية خلق الله للخلق: عبادته وتوحيده، وفي الآية التالية: بيان أن أمر الله تعالى على لسان جميع الرسل هو: أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأحقاف: ٢١].

فواعجباً من تقصير خلقٍ كثير في معرفة حقيقة لا إله إلا الله، وهي أصل بعثة كلّ رسولٍ إلى قومه، بينما يخوض في معارف الدنيا، ويذهب في ذلك ثمين الأوقات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسألة الثالثة

[الخوفُ مِنَ الشِّركِ وَبيانُ بَعْضِ أنْوَاعِهِ]

الثالثة: أَنَّهُ إذا دَخَل الشِّركُ في عِبَادَتِكَ بَطُلَتْ وَلَم تُقْبَل، وأنَّ كُلَّ ذَنْبٍ يُرْجَى لَهُ العَفْوُ إلاَّ الشِّركُ، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] ، وقَالَ تَعَالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ [النساء: ١١٦] ، وَقَالَ تَعَالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢] .

ومِنْ نوْعِ هَذَا الشِّرك: أنْ يَعْتَقِدَ الإنْسَانُ فِيْ غَيرِ الله: مِنْ نَجْمٍ، أوْ إنْسانٍ أو نَبيٍ، أو صَالِحٍ، أو كَاهِنٍ، أو سَاحِرٍ، أو نَبَاتٍ، أو حَيَوانٍ، أو غَيرِ ذلِكَ، أنَّهُ يَقْدِرُ بِذاتِهِ عَلى جَلْبِ مَنْفَعةٍ مِنْ دَعَاهُ أو اسْتَغَاثَ بِهِ، أوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللهُّ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [فاطر: ٢] ، وَقَالَ تَعَالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُّ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ [يونس: ١٠٧] .

فإذَا تبيَّن في القَلْبِ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَجَبَ أنْ لا يُسْتَغَاثُ إلاّ بِهِ، ولا يُستَعَانُ إلاّ بِهِ، ولا يُدْعَى إلاّ هُوْ؛ ولِذَلِك قَالَ تَعَالى: ﴿**قُلْ لَنْ**

يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وَقَالَ تَعَالى مُوَبِّخاً لأهلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يَسْتَغِيثُونَ بِعيسَى وعُزِيرَ، عَلَيْهِمَا السَّلامُ، لما أَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِمُ القَحْطَ والجُوْعَ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

وَقَالَ تَعَالى لنَبيِّهِﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَال تعَالى: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن نوعِ هَذَا الشِّركِ: التَّوَكُّل، والصَّلاةُ، والنَّذرُ، والذَّبحُ لِغَيرِ اللهِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَال تَعَالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وَقَال تَعَالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، إلى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وَقَالَ تَعَالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ

وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وَقَالَ تَعَالى: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام: ١٦٢].

ومن نوعِ هَذَا الشِّرْك: تَحْليلُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَتَحْريمُ مَا أَحَلَّ اللهُ، واعْتِقَادُ ذَلِكَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالى: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣١].

وَقَال عَدْيُّ بنُ حَاتِمٍ رضي الله عنه، يا رَسُولَ الله؛ ما عَبَدُوهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا أَحَلُّوا لَهُمُ الحرامَ فأطاعُوهُمْ؟ وَحرَّمُوا عَلِيهِمْ الحَلالَ فأَطَاعُوهُمْ؟**» قَالَ: بَلى؛ قَال: «**فتِلكَ عِبادَتُهُم**».

و**﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُم﴾** عُلماؤُهُمْ وَعُبَّادُهُم، وَذَلِكَ أَنَّهمْ اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابَاً، وَهُمْ لا يَعْتَقِدُونَ رُبُوبِيَّتَهُمْ، بَلْ يَقُولُونَ: رَبُّنَا وَرَبُّهُم اللهُ، وَلَكِنَّهُم أطاعُوهُمْ فِيْ تَحْليلِ مَا حرَّمَ اللهُ، وتَحْريمِ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَجعلَ اللهُ ذَلِكَ عِبادةً، فَمَنْ أطاعَ إنْسَاناً عَالماً، أو عَابِداً، أو غَيرَه، في تَحْرِيمِ مَا أحلَّ اللهُ، أَوْ تَحليلِ مَا حرَّم اللهُ، واعْتَقَدَ ذَلِك بِقَلبه[1]، فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبّاً، كَالَّذينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أرْبَاباً مِنْ دُونِ الله.

ومِنْ ذَلِكَ: «أنَّ أُناساً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: يَا مُحَمَّد، الميتةُ مَنْ قَتَلَها؟

---

[1] وتقدم قوله: «واعتقاد ذلك» أي اعتقد استحقاقَه للطاعة المطلقة، وتقديمَ طاعته على طاعة الله عز وجلَّ.

قَال: اللهُ، قَالُوا: كَيفَ تَجْعلُ قَتْلَكَ أنْتَ وأصْحَابِكَ حَلالاً؛ وَقَتْلَ اللهِ حَرَاماً؟ فَنَزَل قولُهُ تَعَالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ**[1] **إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾» .

ومِنْ نَوعِ هَذَا الشِّركُ: الاعْتِكَافُ عَلى قُبُورِ المشْهُورِينَ بالنُّبُوةِ، أَوْ الصُّحْبةِ، أوْ الوِلايَةِ، وَشدِّ الرِّحالِ إلى زِيَارَتِها[2] لأنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ الرَّجلَ الصَّالحَ وَبَركتَهُ ودُعَاءَهُ، فَيَعْكِفُونَ عَلَى قَبْرِهِ، وَيَقْصِدُونَ ذَلِكَ، فَتارةً يَسْألونَهُ، وتارةً: يَسْألونَ اللهَ عِنْدَهُ، وَتارةً يُصَلُّونَ وَيدْعُونَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِهِ.

ولَمَّا كَانَ هَذَا بَدءَ الشِّرْكِ، سَدَّ النَّبيُّ ﷺ هَذَا البَابُ، فَفِي "الصَّحِيحينِ" أَنّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى، اتَّخذُوا قُبُورَ أنْبيائِهِم مَسَاجِدَ**» يُحذِّر ما صنعوا، قَالتْ عَائشةُ: «وَلَولا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كَرِهَ أنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدَاً».

وَقَالَ: «**لا تَتَّخِذُوا قَبْري عِيداً، وَصلُّوا عَليّ حيثُ كُنْتُم، فإنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُنِي**».

---

[1] هذا محل الشاهد، وأن طاعة المخلوق في تحليل ما حرّم الله، أو تحريم ما أحلّ الله، ضرب من الشرك، وهو ما يسمى بـ: شرك الطاعة.

[2] أي من الوسائل إلى شركهم: شدّ الرحال إلى القبور، ثم صرفوا لها أنواعاً من العبادة، منها الاعتكاف ونحوه.

وقَالَ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ زَائراتِ القُبُورِ، والمتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المسَاجِدَ، والسُّرُج».

وَفِي "الموَطَّأ" عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنَاً يُعْبَدْ».

وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِم" عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ لا أَدَعَ قَبْراً مُشْرِفَاً إلاَّ سَوّيتُه، وَلاَ أَدَعَ تِمْثَالاً إلاَّ طَمَسْتَهُ».

فأمَر بِمَسْحِ التَّماثيلَ مِنْ الصُّورِ المُمَثَّلَةِ عَلى صُوْرَةِ الميّتِ، والتّمْثَالِ الشَّاخِصِ المُشْرِفِ فَوْقَ قَبْرِهِ، فِإنَّ الشِّركَ يَحْصُلُ بِهَذَا أوْ بِهَذَا.

وَبَلَغ عُمَرَ رضي الله عنه أنَّ قَوْمَاً يَذْهَبُونَ إلى الشَّجَرةِ التِيْ بَايَعَ النَّبيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ تَحْتَهَا، فَأمَرَ بِقَطْعِهَا.

وأرْسَلَ إليهِ أَبُو مُوْسَى: أَنَّهُ ظَهَر بتُستر قَبرُ دَانِيَال، وَعِنْدَهُ مِصْحَفٌ، فِيهِ أَخْبَارُ مَا سَيَكُونُ، وَفِيهِ أَخْبارُ المُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُم إذَا جَدَبُوا كَشَفُوا عَنْ القَبْرِ فَمُطِرُوا، فَأَرْسَلَ إليهِ عُمَرُ، يَأمُرُهُ أنْ يَحْفُرَ فِي النَّهَارِ ثَلاثَةَ عَشَرَ قَبْرَاً، وَيدْفِنَهُ بِاللّيلِ بِواحدٍ مِنْهَا، لئلاّ يَعْرِفُهُ النَّاس، فُيفْتَنُونَ بِهِ[1].

---

[1] وكلُّ ذلك صيانة لجناب التوحيد، وقطعاً لأسباب الشرك، وهذا يبطل مذهب من يعظم الآثار، وينادي إلى تتبعها، والعناية بها، واتخاذها مزارات، حتى صار كثيرٌ منها أوثاناً تعبد من دون الله، وتأمل كيف أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإخفاء القبر، ولو وجد اليوم بعض من رقّ دينه، وانحرفت عقيدته قبر أدنى صالحٍ من الصالحين القدماء لأشاع خبره في الناس، وشيد عليه الضريح، ونادى الناس إلى زيارته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واتِّخاذُ القُبورِ مَسَاجِدَ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُه، وإنْ لم يُبنَ عَلِيَها مَسجدٌ[1]، ولَمَّا كَانَ اتِّخاذُ القُبَورِ مَساجدَ، وَبِناءِ المَساجِدَ عَلَيْهَا مُحَرَّمَاً، لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ عَلى عَهْدِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ[2].

وَكَانَ الخَليلُ عَليهُ السَّلامُ في المغارةِ الَّتي دُفِنَ فِيْهَا، وَهِي مَسْدُودةٌ، لاَ أَحَد يَدْخُلَها، وَلا تَشَدُّ الصَّحَابةَ الرِّحَالَ إليهِ، وَلا إلى غَيْرِهِ مِنَ المَقَابِر[3]، فَفَي "الصَّحِيحَين" عَنْهُ ﷺ قَال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاّ إلى ثَلاثَةِ مَسَاجدَ: المسْجِدِ الحرَامِ، وَالمسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَسْجِدي هَذَا**».

فَكَانَ مَنْ يَأتِي مِنْهُمْ إلى المسْجِدِ الأَقْصَى، يُصَلّونَ فِيهِ، ثُمّ يَرْجِعُونَ، لَا يَأْتُونَ مَغَارةَ الخَلِيلِ وَلا غَيْرَهَا، وَكَانَتْ مَسْدُودَةً حَتَّى اسْتَولَى النَّصارَى عَلى الشَّامِ فِيْ أوَاخِرِ المائةِ الرَّابِعَةِ، وَجعَلُوا ذَلِكَ مَكَانَ كَنِيْسة، وَلَمَّا فَتَحَ

---

[1] لأن المكان الذي يُتعبد فيه يسمى مسجداً، بأي أنواع العبادة كانت، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨] ويقول النبيﷺ: «**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**» فسمِّيت مَسْجداً ولو لم يكن ثمّ بناء.

[2] وهذا يدل على أنَّ ما أحدثوه اليوم من مقامات ومساجد على قبور الصالحين! بدعةٌ شركية!

[3] وهذا ينصر القول بمنع شدِّ الرِّحال إلى غير المساجد الثلاثة، ويحقق بطلان شد الرحال إلى المقابر، وأنه عملٌ محدثٌ لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وأئمة الدين، والمراد بشد الرحل: أي السفر طلباً في بركة البقعة وفضلها، وليس في الوجود ما يطلب فضله على سائر البقاع إلا المساجد الثلاثة، أما السفر لعموم الطاعات والقرب، كطلب العلم، وصلة الرحم، وطلب الرزق، ونحوه فهذا ليس من ذلك.

المسلمونَ البِلادَ، اتَّخَذَهُ بَعْضُ النَّاسِ مَسْجِدَاً، وَأهلُ العِلْمِ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ[1].

وَهَذِهِ البِقَاعُ وأمثالُها لَمْ يَكُنْ السَّابِقُونَ الأولونَ يَقْصِدُونَها، وَلا يَزُورُونَها، فإنَّها مَحَلُّ الشِّرْكِ؛ وَلِهَذَا تُوجَدُ فِيْهَا الشَّيَاطِينُ كَثِيرَاً، وَقَدْ رَآهُم غيرُ وَاحِدٍ عَلى صُورَةِ الإنْسَانِ، يَقولُونَ لَهُم: رِجَالُ الغَيْبِ[2]، فَيظُنُّونَ أَنَّهُمْ رِجَالٌ مِنَ الإنْسِ غَائبونَ عَنِ الأبْصَار، وإنما هم جِنٌّ، والجِنُّ يُسَمَّوَنَ رِجَالاً، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**﴾ [الجن: ٦].

---

[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى الكبرى" (١/ ١٧٧): «وأما أكل الخبز والعدس المصنوع عند قبر الخليلﷺ فهذا لم يستحبه أحد من العلماء لا المتقدمين ولا المتأخرين، ولا كان هذا مصنوعا لا في زمن الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا بعد ذلك إلى خمسمائة سنة من البعثة، حتى أخذ النصارى تلك البلاد، ولم تكن القبة التي على قبره مفتوحة، بل كانت مسدودة، ولا كان السلف من الصحابة والتابعين يسافرون إلى قبره ولا قبر غيره، لكن لما أخذ النصارى تلك البلاد فسووا حجرته واتخذوها كنيسة، فلما أخذ المسلمون البلاد بعد ذلك اتخذ ذلك من اتخذه مسجدا، وذلك بدعة منهي عنها لما ثبت في الصحيح عنهﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما فعلوا وفي "الصحيح" عنه أنه قال قبل موته بخمس: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**» ثم وقف بعض الناس وقفا للعدس والخبز، وليس هذا وقفا من الخليل، ولا من أحد من بني إسرائيل، ولا من النبيﷺ ولا من خلفائه»، وينظر "المدخل" لابن الحاج (٤/ ٢٤٥) فيه كلامٌ قريبٌ من هذا.

[2] رجالُ الغيب: هم الجِن، سُمُّوا بذلك لغيابهم عن الأنظار، وانظر هذا الكلام وما بعده في "مجموع الفتاوى" (١٧/ ٤٦٥).

وَمَا حَدَث في الإسْلامِ مِنْ هَذِهِ الخُرَافَاتِ وأمْثَالِها يُنَافِي مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّداًﷺ مِنْ كَمَالِ التَّوحِيدِ، وإخْلاصِ الدِّينِ لله وَحْدَهُ، وَسدِّ أبْوابِ الشِّركِ التِّي يَفْتَحُها الشَّيطانُ.

وَلِهذَا يُوَجدُ مَنْ كَانَ أبْعدَ عَنِ التَّوحيدِ والإخْلاصِ، وَمَعْرِفَةِ الإسْلامِ، أَكْثرَ تَعْظِيماً لمواضِعِ الشِّركِ، **فَالعارِفُونَ بِسُنّةِ مُحَمَّدﷺ أوَلى بالتَّوحِيدِ وَالإخْلاصَ، وَأهلُ الجَهْلِ بِذلكِ: أقْرَبُ إلى الشِّرك والبدع**[1]؛ وَلِهَذَا يُوْجَدُ في الرَّافِضَةِ أَكْثَرُ مَما يُوجَدُ في غَيْرِهِمْ، لأنَّهُم أجْهلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأَكْثَرُ شرْكَاً وَبِدَعًا؛ وَلِهذَا: يُعَظِّمُونَ المَشَاهِدَ، وَيخرِّبُون المسَّاجِدَ، فَالمسَاجِدُ لا يُصَلُّونَ فِيْهَا جُمْعةً، وَلاَ جَماعَةً؛ وَأمَّا المَشَاهِدَ فَيُعَظِّمُونهَا، حَتَى يَرَونَ زِيارَتَها أوْلَى مِنَ الحَجِّ!

وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَتْبَعَ لِدينِ مُحَمَّدٍﷺ كَانَ أَعْظَمَ تَوْحِيدًا للهَّ وَإِخْلَاصًا لَهُ فِي الدِّينِ وَإِذَا بَعُدَ عَنْ مُتَابَعَتِهِ نَقَصَ مِنْ دِينِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، فَإِذَا كَثُرَ بُعْدَهُ عَنْهُ ظَهَرَ فِيهِ مِنْ الشِّرْكِ وَالْبِدَعِ مَا لَا يَظْهَرُ فِيمَنْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى اتِّبَاعِ الرَّسُولِﷺ.

واللهُ إنَّما أمَرَ بالعِبَادَةِ في المسَاجِدِ، وَذَلِك عِمارَتُها[2]، فَقَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا

---

[1] فأهل السنة ألزم للاتباع، فهم أبعد عن البدع، والشرك من باب أولى، وأهل البدعة أبعد عن الاتباع، فخرجوا عن السبيل، ووقعوا في البدعة، والبدعة بريد الشرك والكفر.

[2] وأخرج أحمد وعبد بن حميد والدارمي والترمذي وحسنه وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﷺقال:

يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ﴾ [التوبة: ١٨]، وَلَمْ يَقُلْ مَشَاهدَ الله، وَأَمَّا نَفْسُ بِنَاءِ المسَاجِدِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَبْنِيهِ البرُّ والفَاجِرُ، وَذَلِكَ بِنَاء، كَما قَالَ ﷺ: «**مَنْ بَنَى لله مَسْجِداً، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِيْ الجَنَّةِ**».

ثُمّ كَثيرٌ مِنَ المشَاهِدِ أَوْ أَكْثَرُهَا كَذِبٌ، كَالَّذِي بِالقَاهِرةِ عَلَى رَأسِ الحُسَينِ رضي الله عنه[1]؛ فإنَّ الرَّأسَ لم يُحْمَل إلى هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ مَشْهدُ عَلِيٍّ، إنَّما حَدَثَ في دَوْلةِ بَنِي بَوْيَه، قَال الحَافِظِ[2] وَغيرُه: «هُو قَبْرُ المُغِيرةِ بن شُعْبَةِ، وَعَلِيٌّ إنَّما

قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾** [التوبة:١٨]».

ولذا أُمْرنا بنفي المشركين من المساجد؛ كما قال تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ﴾** [التوبة: ١٧] وقد أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ﴾** [التوبة: ١٧] وقال: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمنَ باللهِ﴾** [التوبة:١٨] فنفي المشركين من المسجد.

[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٥٠٨-٥٠٩): «وأما حمله إلى مصر فباطل باتفاق الناس وقد اتفق العلماء كلهم على أن هذا المشهد الذي بقاهرة مصر الذي يقال له " مشهد الحسين " باطل ليس فيه رأس الحسين ولا شيء منه وإنما أحدث في أواخر دولة " بني عبيد الله بن القداح " الذين كانوا ملوكا بالديار المصرية مائتي عام إلى أن انقرضت دولتهم في أيام " نور الدين محمود "... والذي رجحه أهل العلم في موضع رأس الحسين بن علي - رضي الله عنهما - هو ما ذكره الزبير بن بكار في كتاب " أنساب قريش " والزبير بن بكار هو من أعلم الناس وأوثقهم في مثل هذا ذكر أن الرأس حمل إلى المدينة النبوية ودفن هناك وهذا مناسب، فإن هناك قبر أخيه الحسن وعم أبيه العباس وابنه علي وأمثالهم».

[2] هو محمد بن عبدالله مطيّن الحافظ، وانظر التعليق التالي.

دُفِنَ بِقَصرِ الإمَارَةِ بالكُوفَةِ، وَدُفِنَ مُعَاويةُ بِقَصْرِ الإمَارَةِ بِدِمشَق، وَدُفِنَ عَمْرو بنُ العَاصِ بِقَصْرِ الإمَارَةِ بِمِصْرَ، خَوْفاً عَلَيْهِمْ إِذَا دُفِنُوا فِي المَقَابِرِ أَنْ تَنْبُشَهُم الخَوَارِجِ»[1].

[1] الكلام السابق لشيخ الإسلام ابن تيمية بتصرّف من الفتاوى (١٧/ ٤٩٩-٥٠١).

المسألة الرابعة

[لاَ تُقْبَلُ الأعْمالُ إلاَّ بالإخْلاصَ والمُتَابَعَةِ]

المسألة الرابعة: أنَّه إذَا كَانَ عَملُك صَواباً وَلَمْ يَكُنْ خَالِصاً؛ لم يُقبْل، وإذَا كَانَ خَالِصاً وَلَمْ يَكُنْ صَوَاباً؛ لم يُقبْل، فَلا بُدَّ: أنْ يَكُونَ خَالِصاً، صَواباً عَلى شَرِيعةِ مُحَمَّدٍﷺ وَلِذَلِكَ قَال سُبْحَانَه فِي عُلَماءِ أَهْلِ الكِتَابِ وَعُبَّادِهَم وَقُرَّائِهِمْ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] وَقَال تَعَالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢"٣"٤] وَهَذِهِ الآياتُ لَيْسَتْ فِي أَهْلِ الكِتَابِ خَاصَّةً، بَلْ كُلُّ مَنِ اجْتَهَدَ فِي عِلْمٍ، أَوْ عَمَلٍ، أو قِرَاءةٍ، وَليسَ مُوافِقاً لِشَرِيعةِ مُحَمَّدٍﷺ فَهُوَ مِنَ الأخسْرينَ أعْمالاً، الَّذِينَ ذَكَرَهُم اللهُ تَعَالى فِيْ مُحْكَمِ كِتَابِهِ العَزِيزِ، وَإنْ كَانَ لَهُ ذَكاءٌ، وَفِطْنَةٌ، وَفِيهِ زُهْدٌ وَأَخْلاقٌ، فَهَذا العُذْرُ لا يُوْجِبُ السَّعَادةَ والنَّجَاةَ مِنْ العَذَابِ إلا باتِّبَاعِ الكِتَابِ والسُنَّةِ، وإنَّما قُوةُ الذَّكاءِ بِمَنْزِلِةِ قُوةِ البَدَنِ وَقُوةِ الإرادَةِ، فالذي يُؤتَى فَضائلَ عِلْمَيةٍ، وإرَادَةٍ قَوِيةٍ، وَلَيس مُوافِقاً للشَّرِيعةِ، بِمَنْزِلةِ مَنْ يُؤتَى قُوةٌ فِي جِسْمِهِ وَبَدَنِهِ.

وَرويَ فِي "صحيحَ البُخَارِي" عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رَسُولَ اللهِﷺ يقول: «يَخْرُجُ فِيكُم قَومٌ تَحقِرون صَلاتَكم مَعَ صَلاتِهِم، وَصِيامَكُم مَعَ صِيامِهِم، وعَلْمَكُم مَعَ عِلْمِهِم، يَقْرؤون القُرآن، لَا

يُجاوزُ حَنَاجرَهُم، يَمرُقُون مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرقُ السَّهمُ من الرَّميِّة، يَنْظرُ في النَّصْلِ فَلا يَرى شَيْئاً، وَيَنْظُر في القِدْحِ[1] فَلا يَرَى شَيْئَاً، وَيَنْظُرُ في الرِّيَشَ فَلا يَرَى شَيْئاً، ويَتَمارَى[2] في الفُوق[3]»[4].

وروى في "صحيح البخاري" قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: **«يَأتي فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ حُدَثاءُ الأسْنَان، سُفَهاءُ الأحْلامِ، يَقُولونَ مِنْ قَولِ خَيرِ البَرية، يَمْرُقون مِنَ الإسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمَيَّةِ، لا يُجَاوزُ إيْمَانهُم حَنَاجِرَهُم، فَأينَّما لَقِيتُمُوهم فاقْتُلُوهُم، فإنّ في قَتْلِهم أجراً لِمَنْ قَتَلَهُم يَومَ القِيَامَةِ»[5].**

وقال رسول اللهﷺ: **«يَكُون في آخَرِ الزَّمانِ دجَّالُون كذَّابون، يَأْتُونَ مِنْ الأحادِيثِ؛ بِمَا لم تَسْمَعُوا أنْتُم، ولا آباؤكم، فإيَّاكُم وإيَّاهُم! لا**

---

[1] القِدْح: السهم قبل أن يعمل فيه الريش والنصل، وقبل أن يُبرى.

[2] التَّماري: تفاعل من المرية: الشك.

[3] الفُوق: موضع وقوع الوتر من السهم.

[4] وفي تشبيه الخوارج بمروق السهم، إشارة إلى عدة أمور:

منها: سرعة مروقهم من الدين، ومنها: أن مروقهم يبدأ بالشيء اليسير كرأس السهم أول ما ينفذ من الرمية! ومنها: أنهم لا يعودون إلى السنة غالباً، كما قال بعض السلف: «آخر الحديث أشد عليهم من أوّله» يعني قول النبيﷺ: **«ثُمَّ لا يَعودُونَ إليهِ مَرَّةً أُخْرَى»**.

[5] ووجه الدلالة من هذا الحديث والذي قبله في ضلال الخوارج، أن العبرة ليست فقط بقصد الخير، بل لابدّ من موافقة السنة، والخوارج يتعبدون لله أشد التعبد، ولكن على غير هدى وسنّة فضلوا وأضلوا.

يُضِلُّونَكُم، ولا يفتنونكم!» رواهُ أبو هريرةرَضِيَ اللهُ عَنهُ[١].

وقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أَمَّةٍ قَبْلِي إلاَّ لَهُ مِنْ أَمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وأَصْحَاب يأخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُوَنَ بِأمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيْمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**» رَواهُ ابنُ مسعودٍرَضِيَ اللهُ عَنهُ[٢].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «**لا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أَمَّتِي قَائمةٌ عَلى الحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأتِي اللهُ بِأَمْرِهِ، وَهُمْ عَلى ذَلِكَ**» رواه مُعَاويةُرَضِيَ اللهُ عَنهُ[٣].

وقَالَﷺ: «**كُلُّ أَمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى، قَيل: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَن يَأبىَ؟ قَالَ: مَنْ أطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدَ أَبَى**» رواهُ أَبُو هُرَيرةَرَضِيَ اللهُ عَنهُ[٤].

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبيِّﷺ قَالَ: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ،**

---

[١] عند الإمام مسلم في "صحيحه".

[٢] عند الإمام مسلم أيضاً.

[٣] متفق عليه.

[٤] رواه البخاري.

حَتَى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لما جَئْتُ بِهِ»[1].

وَقَد تَبينَ أَنَّ الوَاجِبَ:

طلبُ عِلمِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِﷺ مِنَ الكِتَابِ والحِكْمَةِ، وَمَعْرِفةِ مَا أرادَ بِذَلِكَ، كَما كَانَ عَليهِ الصَّحَابَةُ، والتَّابِعُونَ، وَمَنْ سَلَكَ سَبيلَهُمْ فَكُلُّ مَا يَحْتَاجُ إليهِ النَّاسُ فَقَدْ بَيَّنه اللهُ ورسُولُه بَياناً شَافِياً كَافِياً، فَكَيفَ أُصولُ التَّوحِيدِ والإيْمَانِ؟

ثُمَّ إذا عَرَفَ مَا بَيَّنهُ الرَّسُولُ؛ نَظَر في أقْوالِ النَّاسِ وَمَا أرادُوا بِهَا، فَعُرِضَت عَلى الكِتَابِ والسُنَّةِ، وَالعَقْلِ الصِّريحِ الَّذِي هُوَ مُوافِقٌ للرَّسُولِ، فإنَّه الميْزَانُ مَعَ الكِتَابِ، فَهَذا سَبيلُ الهُدَى.

وأمَّا سَبيلُ الضّلالِ والبِدَعِ والجَهْلِ: فَعَكْسُه؛ أن تُبْتدَع بدعةٌ بآراء رِجَالٍ وتَأوِيلاتِهِم، ثُمَّ تَجعلُ مَا جَاء بِه الرَّسُولُ تَبعَاً لهَا، وَتُحرَّف ألْفَاظُهُ وتَأوْيِلَه عَلى وِفْقِ مَا أَصَّلُوُهُ؛ وُهَؤلاءِ تَجِدُهُم في نَفْسِ الأمْرِ لا يَعْتَمدونَ عَلى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، ولا يَتَلقَّونَ مِنهُ الهُدَى، وَلَكِنْ مَا وَافَقَهُمْ مِنْهُ قَبِلوُهُ، وَجَعَلُوهُ حُجَةً لا عُمْدةً، وَمَا خَالَفَهُم مِنْهُ تأوَّلُوه، كَالَّذينَ يُحِرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ، أوْ فَوَّضُوهُ، كالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلاَّ أمَانِيَ[2].

---

[1] رواه أبو القاسم التميمي في كتاب "الحجة" وقال النووي: «وإسناده صحيح».

[2] وهذان مسلكان باطلان للمخالفين في أبواب الأسماء والصفات، إما أن يتعرضوا للنصوص الشرعية بالتأويلات الباطلة، وإما أن يفوضوا المعنى، ولا يريدون بذلك إلا سلب اللفظ من

وَكَثيرٌ مِنْهُمْ إنَّمَا يَنْظُرُ في تَفْسيرِ القُرْآنِ والحَدِيثِ فِيما يَقُولُه مُوافَقَةً عَلى المذْهَبِ.

وَكثيرٌ مِنْهُم لم يَكُنْ عُمْدَتُهُم في نَفْسِ الأمْرِ اتِّبَاعُ نَصٍّ أصْلاً، كالَّذِينَ ذَكَرهُمُ اللهُ مِنَ اليَهُودِ الَّذينَ يَفْتَرُونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ ظَنَّ صِدْقَ مَا افْتَرَى أوْلَئِكَ، وَهُمْ في شَكٍّ مِنْهُمْ، كَما قَال تَعَالى: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**﴾ [الشورى: ١٤].

فَفِي "الصَّحِيحَين" عَنْهﷺ: «**لتتَّبِعُنَّ سَنَن من كان قبلكم، حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حَتَّى لَوْ دَخَلُوْا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**» قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ اليهودُ والنَّصارَى؟ قَالَ: «**فَمَن؟**».

فَهَذا دَليلٌ عَلى أنَّ مَا ذمَّ اللهُ بِهِ أهلَ الكِتَابِ، يَكُونُ في هَذِهِ الأمَّةِ مِنْ يُشْبِهُهُم فِيه[1]، هَذَا حَقٌّ قَدْ شُوْهِدَ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣] فَمَن تَدبَّر مَا أخْبَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، رَأى: أنَّهُ قَدْ وَقَعَ

الدلالة، فيكون من كلام الله تعالى وكلام رسولهﷺ ما لا معنى له، وهذا من قبيح الأقوال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[1] فهي قاعدة نبوية كلية، وأن كلّ ما ذمَّه الله تعالى في اليهود والنصارى والأمم السابقة فالمراد به تحذيرنا منه عندما يقع فيه بعض هذه الأمة.

مِنْ ذَلكَ أمُورٌ كَثيرةٌ، وَمَنْ زَادَ فِي الدِّينِ بِشيءٍ مَا فَعَلُه الرَّسُولِﷺ وَلَيسَ عَلَيهِ الصَّحابةُ والتَّابِعُونَ، فَكَأَنَّما نَقَص(١).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ قَالَ: «**لا تُشدِّدُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ فيُشَدِّدِ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمَاً شَدَّدَوا عَلى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوامِعِ والدِّيارِ، رَهْبَانِيةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَليهِمْ**»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبيِّﷺ قَالَ: «**مَا بَالُ قَوْمٍ يَتَنزَّهُونَ عَنْ شَيءٍ أَصْنَعُهُ؟! فَواللهِ إِنِّي لأَعْلَمَهُمْ وأَشَدُّهُمْ للهِ خَشْيَةً**»(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ثَلاثةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادةِ النَّبيِّﷺ؛ فَلَّما أُخْبِرُوا كَأَنَّهم تَقَالُّوهَا، قَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبيِّﷺ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ أحدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيلَ وَلا أَرْقُدْ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَصُومُ الدَّهَرَ وَلاَ أُفْطِرْ، وَقَال الآخَر: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ وَلا أَتَزَوَّجُ، فَجَاء النَّبيُّﷺ فَقَال: «**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُم: كَذَا وَكَذا؟ أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لأَخْشَاكُم للهِ، وأَتْقَاكُمْ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ**

(١) فما أحدث رجلٌ بدعة إلا وترك مكانها سنَّة، كما قاله غير واحدٍ من السلف، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ترك اتباع النبيﷺ بامتثال أمره في ترك البدع، وأنها رد، لكان هذا أوضح دليل على قبح صنيع المبتدعة.

(٢) رواه أبو داود، وإسناده ضعيف.

(٣) متفق عليه.

وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم فخذوا به**»(١).

وعن عائشة أن النبي ﷺ تلا: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران:٧] قال ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه، ويتركون المحكم، فأولئك الذين سمى الله: أهل الزيغ، فاحذروهم**»(٢).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما، قال: هجَّرتُ إلى رسول الله ﷺ فسمع صوت رجلين اختلفا في آية، فخرج في وجهه الغضب، فقال: «**إنما هَلَكَ من كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهم، واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكُم بشيءٍ، فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه**»(٣).

---

(١) هكذا اختصره، وهو عند مسلم بلفظ: «**إذا حدثتكم عن الله شيئا، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل**» وفي لفظٍ آخر عنده أيضاً: «**إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر**» وزاد في آخر: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**».

(٢) متفق عليه.

(٣) الحديث في "صحيح مسلم" من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: هجَّرت إلى رسول الله ﷺ يوما، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ، يعرف في وجهه الغضب، فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم، باختلافهم في الكتاب**» ومعنى

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَد أُمِيْتَتْ بَعْدِي فإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ أجورِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلالَةً لا يَرْضَاهَا اللهُ ورَسُوْلُهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلَ آثَام مَنْ عَمِلَ بِهَا، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ**» رواهُ بِلالُ بنُ الحَارِثِ المَازِنِي رضي الله عنه[1].

وروِيَ في "صَحِيحِ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ" عَنْ عَائشَةَ؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**».

ورُوِيَ عَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا**﴾ [الأنعام: ١٥٩]: «**أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة**»[2].

وعَنِ العِرباضِ بنِ سَارِيَةَ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العِيونُ، وَقالَ قَائلٌ: يَا

هجّرت: أي بكّرت وقصدت، ويجوز أن يكون من الهاجرة، أي: قصدته وقت الهاجرة، وهو شدة الحر، قاله ابن الأثير.

واللفظ الذي ذكره الإمام هو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، قد فرض عليكم الحج، فحجوا، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، ثم قال: ذروني ما تركتكم، ولو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم، [ص:٤] وإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**» رواه مسلم والنسائي.

[1] عند الترمذيِّ وحسّنه، وضعفه آخرون.

[2] رواه الطبراني في "الأوسط" وقال الهيثمي: «إسناده جيّد».

رَسُولَ اللهِ؛ كأنَّها مَوْعِظَةَ مُودِّعٍ، فَأَوْصِنا، قَالَ: «**أُوْصِيكُم بِتَقْوى اللهِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ لأمِيرِكُم، وإنْ كَانَ عَبْدَاً حَبَشِيَّاً، فإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيرىَ اخْتِلافَاً كَثِيراً، فَعَليكُمْ بِسُنَّتي، وَسُنَّة الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ، وإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ، فَإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ**» رُوي فيْ "سُنَنَ أَبي دَاودَ والتِّرْمِذيِّ" وَقَال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِالله بنِ عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «**تَفَرَّقَتِ بَنُو إسْرَائيلَ عَلى اثْنَتينِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأمَّةُ عَلى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُم في النَّارِ، إلاّ وَاحِدَةً**» قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا أنَا عَلِيهِ اليومَ وأصْحَابي**»[1].

قَالَ عَبدُاللهَ بنُ مَسْعودٍ: «إنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثَ كِتابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيَ هَديُ مُحَمَّدٍﷺ، وَشرَّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها»[2].

ورواه جابر مرفوعا إلى رسول اللهﷺ[3].

---

[1] رواه الترمذي وحسّنه.

[2] رواه البخاري في "الصحيح" من كلام ابن مسعودﷺ.

[3] عند مسلم بلفظ: عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول اللهﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: «**صبحكم ومساكم**» ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى، ويقول: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**» الحديث.

وَعَنِ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِي عَنْ ابنِ أَخِي الحَارِثِ الأعْورِ عَنِ الحَارِثِ الأعْورِ قَال: مَرَرَتُ بالمسْجِدِ، فإِذَا النَّاسُ يخوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ ألاَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِيْ الأَحَادِيثَ؟ قَال: أَوَ قَدْ فَعَلُوُهَا؟ قُلْتُ: نَعَم؛ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ**» قُلْتُ: فَمَا المَخْرَجُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**كِتَابُ الله، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحَكَمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى مِنْ غَيرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوُ حَبْلُ الله المَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأهْواءُ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الألْسُنِ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَماءُ، وَلا يَخْلَقُ عَلى كَثْرةِ الرَّدِّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائبُه، وَهُوَ الَّذِيْ لمْ تَنْتَهِ الجنُّ إذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن:٢] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقْ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرْ، وَمَنْ دَعَا إِليهِ هُدِيْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1].

قوْلُهُ: «**لاَ تَزِيغُ بِهِ الأهْوَاءُ**» يَعْنِي: لاَ يَصيرُ بِسَبَبِهِ مُبْتَدِعاً ضَالاًّ.

وقَوْلُهُ: «**لا تَلْتَبِسُ بِهِ الألْسُنِ**» أيْ: لا يَخْتَلِطُ بِهِ غَيرُهُ، بِحيثُ يُشْبِهُهُ، وَيَلْتَبِسُ الحقُّ بِالبَاطِلِ، قَال تَعَالى: ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

---

[1] رواه الإمام أحمد والترمذي، وإسناده ضعيف، ومعناه حقٌّ ونورٌ على نور.

وَقَالَﷺ: «**إنَّ الدِّينَ بَدَأ غَرِيْبَاً، وَسَيَعُودُ غَرِيْبَاً كَمَا بَدَأ، فَطُوْبَى للغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي**» رَواهُ [كَثيرُ بنَ عَبْدِالله بنِ عَمْروِ بنِ عَوْفٍ بنِ زَيدِ بنِ] مِلْحَةَ عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ[١].

وَقَالَﷺ : «**مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أجْرُ مِائةِ شَهِيدٍ**» رَواهُ أبو هُرَيرةَ رضي الله عنه[٢].

وَعَنْ أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ ﷺ [أنه قَالَ]: «**إنَّكُمْ في زَمَنٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُم عُشْرَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ هَلَكْ، ثُمَّ يَأتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ بِعُشْرِ مَا أَمَـرَ اللهُ بِهِ نَجَا**» حديثٌ غَرِيبٌ[٣].

وَعَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه، وعن شماله وقال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، وقرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيـلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ**

---

[١] رواه الترمذي، وحسّنه.

[٢] هكذا ذكره صاحب "المشكاة" (١/ ٦٢) ومنه نقل الإمام كعادته هنا وفي غير هذا الموطن، والحديث بهذا اللفظ هو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عند ابن عدي في الكامل وغيره، بإسناد لا يثبت، ورواه الطبراني في "الأوسط" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد» قال الهيثمي: «رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه محمد بن صالح العدوي، ولم أر من ترجمه، وبقية رجاله ثقات».

[٣] هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه، وهو عند الإمام أحمد في "المسند" وفي إسناده ضعف.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣]».

وَعَنْ أَبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَزَلَ القُرآنُ عَلى خَمْسَةِ وُجوهٍ: حَلالٌ وَحَرامٌ، وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِه، وَأَمْثَالٌ، فَأَحِلُّوا الحَلالَ، وَحَرِّمُوا الحَرَامَ، وَاعْمَلُوْا بِالْمُحْكَمِ، وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ وَاعْتَبِرُوا بِالأَمْثَالِ**»(١).

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الأمرُ ثَلاثةٌ: أَمرٌ بَيّنٌ غَيُّهُ فَاجْتَنِبْهُ، وأَمرٌ بَيّنٌ رُشْدُهُ فاتَّبِعْهُ، وَأَمرٌ اُخْتُلِفَ فِيهِ فَكِلْهُ إِلى اللهِ تَعَالى**»(٢).

وفِي "الصّحِيحَينِ" عَنِ أَبي مُوسَى عَنِ النَّبيِّ ﷺ [أَنَّه قَال]: «**مَثلُ المؤْمِنِ الَّذي يَقْرأُ القُرْآنَ مِثْلُ الأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّب، وَمَثلُ المؤْمِنِ الَّذي لا يَقْرأُ القُرْآنَ مِثْلُ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّب وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثلُ المُنافِقُ الَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ مِثْلُ الرَّيْحَانةِ رِيْحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثلُ المُنَافِقِ الَّذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ مِثْلُ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلا رِيحَ لَهَا**».

فَبَيَّنَ أَنَّ فِي الَّذِينَ يَقرؤونَ القرآنَ: مُؤمِنينَ وَمُنَافِقِينَ.

وإِذَا كَانِتِ سَعادَةُ الأوْلِينَ وَالآخِرينَ هِي باتِّبَاعِ الْمُرْسَلِينَ فَمِنَ المَعْلومِ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذَلِكَ أَعْلَمُهُمْ بِآثَارِ الْمُرْسَلِينَ، وأَتبَعُهُمْ لِذَلِكَ؛ فَالعَالِمُونَ بَأَقْوَالِهِم وَأَفْعَالِهِمْ، الْمُتَّبِعُونَ لَهَا، هُمْ أَهْلُ السَّعَادَةِ فِيْ كُلِّ زَمان

---

(١) رواه البيهقي في "شعب الإيمان" وإسناده ضعيف.

(٢) عزاه في "المشكاة" إلى أحمد ووَهِم، وهو بنحوه عند الحاكم والطبراني وغيرهما بإسناد ضعيف.

وَمَكَانٍ، وَهُمْ: الطَّائفةُ النَّاجِيةُ مِنْ أهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ، وَهُمْ: أهْلُ السُنَّةِ وَالحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَالرُّسلُ عَلِيهُمُ البَلاغُ المُبِينُ، وَقَدْ بَلَّغُوا البَلاغَ المُبِينَ، وَخَاتَمُ الرُّسُلِ: مُحَمَّدٌ ﷺ أنْزَلَ اللهُ عَلِيهِ كِتَابَهُ، مُصَدِّقَاً لِمَا بَينَ يَدِيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلِيهِ، فَهُوَ المُهَيْمِنُ عَلى جَمِيعِ الكُتُبِ، وَقَدْ بُيَّنَ أبينَ بَلاغٍ وأَتَمَّهُ وَأكْمَلَهُ، وَكَانَ أنْصَحَ الخَلْقِ لِعِبَادِ اللهِ، وَكَانَ بالمؤمِنينَ رَؤوْفَاً رَحِيْمَاً، بَلَّغَ الرِّسَالةَ، وَأدَّى الأمَانةَ، وَجَاهدَ فِيْ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدَ اللهَ حَتَّى أتَاهُ اليَقِينُ، فَأسْعَدُ الخَلْقِ، وَأعْظَمِهم نَعِيماً، وَأعْلاهُمْ دَرَجةً أعْظَمُهُم اتِّبَاعَاً لَهُ وَمُوَافَقةً؛ عِلْمَاً وَعَمَلاً، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أعْلَم[1].

---

[1] بحمد الله تعالى تم التعليق على الكتابين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكتب: بدر بن علي بن طامي العتيبي.

مشروع طباعة الكتب السلفية

من إصدارات المشروع

تذكير الأخياربما صح من أذكار عن النبي المختار ﷺ

المقالة المفيدة شرح حديث جامع في العقيدة

إعداد الشيخ / عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

إنحراف الشباب أسبابه ووسائل علاجه

لفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن سليم الله الرحيلي

النصيحة لـ سعيد بن هليل العمر

أوصى بنشرها فضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

تنزيه الدعوة السلفية من الألقاب التنفيرية

إعداد/ عمر بن عبدالرحمن العمر تقديم العلامة/ صالح بن فوزان الفوزان

تأملات في قوله (ورضوان من الله أكبر)

إعداد الشيخ / عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

الإيضاح والتبيين في حكم الاستغاثة بالأموات والغائبين

للعلامة/ عبدالمحسن بن حمد العباد البدر

تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات

للعلامة/ صالح بن فوزان الفوزان

فقه الفتن

لفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان بن سليم الله الرحيلي

موعظة النساء

إعداد الشيخ / عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

مجلدات / **فقه الشورى - فقه الواقع - معاوية بن أبي سفيان**

تأليف د/ حمد بن ابراهيم العثمان

الإعتقاد الواجب في المحبة (محبة الله : دراسة عقدية)

لفضيلة الشيخ الدكتور/ فلاح بن إسماعيل مندكار

فضل الكلمات الأربع

إعداد الشيخ / عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

نعمة السلطان

تأليف الدكتور/ محمد غيث

دراسة وتحقيق في إثبات رسالة أصول السنة للإمام أحمد

بحثان كتبهما د/ محمد هشام طاهري

من إصداراتنا

